

ملف المستقبل

سرى جداً!!

مشروع القرن الثقافي

روايات مصرية الجيب

في كل رواية متعة دائمة

160

وشيتل فاروق

نهاية
العالم!

Looloo

www.dvd4arab.com



ملف المستقبل ..

في مكان ما من أرض (مصر) ، وفي حقبة ما من حقبة المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها في هدوء تام ، وسرية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدم العلمي في (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التي هي المقياس الحقيقي لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره في عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمي ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

و. نبييل فاروق

1 - ذلك الشيء ..

على الرغم منه - ارتجف جسد الدكتور (راشد) ، كبير علماء مركز أبحاث المخابرات التكنولوجية ، التي حلت محل المخابرات العلمية ، بعد تلك الكارثة الرهيبة ، التي تعرضت لها مصر كلها ، واختفى معها (نور) وفريقه ، لأكثر من ثلاثين عامًا ..

ارتجف جسده ، وهو يتطلع إلى جسد (محمود) ، المصنوع من (الزوربوم) الحيوى ، ورجال أمن الحصن يضعونه في ذلك التابوت الرصاصى السميك ، استعدادًا لدفنه في أعماق الأرض ..

كانت عينا (محمود) مفتوحتين ، تحدقان أمامه بلا حياة ، وجسده جامد كتمثال من المعدن ، مما أورثه مظهرًا مخيفًا ، لم يستطع الدكتور (راشد) احتمالاه طويلاً ، فأشاح بوجهه عنه ، وهو يقول فى عصبية :

— هل ستمضى النهار كله فى هذا !؟

أجابه أحد الرجال فى دهشة :

— الأمر لم يستغرق نصف ساعة بعد .

فعلياً ، كان الرجل على حق تماماً ، فلم يبدأ هذا الأمر ،

Looloo

www.dvd4grab.com

إلا منذ أقل من نصف الساعة بالفعل ، ولكن الدكتور (راشد) كان يشعر وكأنه يقف أمام ذلك الجسد الزوربومي ، منذ دهر كامل ..

كان التوتر يملأ جسده كله ، وهو يحاول الانشغال عما يحدث ، باستعادة ذكريات قريبة نسبياً ..

لقد شهد في حدائته تلك الكارثة الرهيبة ، التي تعرّضت لها مصر ، إثر مهمة خرج فيها (نور) وفريقه ، لاستكشاف كهف زاخر بغموض لا حدود له .. كهف قادهم إلى كشف حضارة هائلة ، تكمن في باطن الأرض ، قبل أن تظهر حضارتنا إلى الوجود بألاف السنين ..

حضارة نشأت قبلنا ، وتطوّرت في معزل عنا ، ثم بدأت تستطلعنا ، عندما أصبحنا نمثل خطراً عليها ..

حضارة وجدت نفسها أمام خيار واحد لا غير ..

إما استمرارها ..

أو استمرارنا ..

فاتخذت قرارها ..

ودمرتنا ..

شهد هذا في حدائته ، ولكنه لم يستوعبه ، إلا عندما انضم إلى المخابرات التكنورقمية ، بعد الكارثة بسنوات ..

أيامها ، كان يتصوّر أنه قد استوعب كل شيء ، حتى فوجئ بعودة فريق (نور) بقتة ، بعد أن سجّل التاريخ اختفاءهم ، وافترض موتهم (*) ..

مع عودتهم ، بدأ القائد الأعلى يتصرّف على نحو عجيب ..

لقد أحاطهم بحصار قوى ، حتى يمنعهم من معرفة ما يدور خارج أسوار حصن المخابرات التكنورقمية ، وحتى يعزلهم تماماً عن المقاومة الرهيبة ، التي تدور هناك .. في قلب أطلال (القاهرة) الجديدة ..

وعلى الرغم من أن (نور) وفريقه قد أتوا من زمن سابق ، بالنسبة للعصر الذي استعادوا فيه وعيهم ..

وعلى الرغم من الفارق التكنولوجي الرهيب ..

ومن كل ما فعله القائد الأعلى ، للسيطرة عليهم ..

على الرغم من كل هذا ، قاتلوا ..

وقاوموا ..

وأنقذوا (مشيرة) ، التي احتجزها القائد الأعلى ؛ لإخبار (أكرم) على خيانة رفاقه ..

Looloo

www.dvd4u.com

رقم (153)

(*) راجع قصة (المفقودون) ... المغامرة رقم (153)

واستعانوا بـ (طارق) ، حفيد (نور) و (سلوى) ، وابن (نشوى) و (رمزي) ، وبطاقة (الزوريم) الهائلة ، التي تسرى في جسد (محمود) الجديد ، و ...

وفروا من الحصن ..

فروا إلى الأطلال ، حيث فصائل المقاومة ..

حيث الذئب ، الذي يقود كل الفصائل ..

حيث صار (طارق) الصغير ، ابن (نور) ، و (محمود) الصغير ، ابن (نشوى) ، زعيمين من زعماء المقاومة ..

وحيث عالم جديد ..

عجيب ..

مخيف ..

مثير للحيرة ..

والشك ..

عالم لم يمكنهم حسم موقفهم منه ..

هل يقاثلون إلى جوار المقاومة؟! ..

أم إلى جوار مخابرات الحصن!?! ..

كانوا قد كشفوا أن القائد الأعلى ليس كما يبدو عليه ..

وربما ليس بشرياً ..

على الإطلاق ..

وفي الوقت نفسه ، لم يمكنهم أبداً أن يثقوا في الذئب ، زعيم زعماء فصائل المقاومة ..

ثم إتهم قد كشفوا أن ذلك العالم ، محاصر بحاجز عجيب خفى ..

حاجز شبه مخملي ، ولكنه شديد الصلابة والقوة ..

حاجز يختلف عن كل ما عهدوه أو عرفوه من قبل ..

وفي نفس الوقت ، الذي قرر فيه القائد الأعلى وضع (محمود) ، بجسده المصنوع من (الزوريم) الحيوى ، في تابوت سميك من الرصاص ، ودفنه في أعماق الأرض ؛ ليعزله تماماً عن أي مصدر للطاقة ، كان الذئب يمضى ، بأوامر من الذئب ؛ للتخلص من (محمود) و (طارق) الصغيرين ، وكان (نور) وفريقه يواجهون ذلك الشيء ..

ذلك الشيء الرهيب ..

جداً*) ..

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الأجزاء الأربعة الأولى (علم جديد) ، (أبطال لمضى) ، (حرب الخد) ، و (نيران المستقبل) .. المقدمات لرقم (156) ، (157) ، (158) ، (159) .

لزم جميع الرجال الصمت بعد هاتفه ، وبدعوا في تنفيذ الأمر بالفعل ..
وهناك ، تحت أقدامهم ، وداخل ذلك التابوت الرصاصى السميك ،
كان (محمود) يرقد ساكناً ، مفتوح العينين ، يحدق فى الظلام
أمامه ، وهو يدرك أنه سيظل يحدق فيه لمئات السنين ..

ما لم يتغير شيء ..

أى شيء ..

لم يكن يدري ما الذى فعله به القائد الأعلى ، ووضعه فى تلك
الحالة من شبه الجمود !!

ولكن ما أطلععه عليه ، قبل أن يضعه فى هذه الحالة ، كان رهيباً ..
رهيباً بحق ..

كان يكفى لتدمير ذلك الجزء البشرى منه ..

تماماً ..

أما الأسوأ من هذا ، فهو ما أراه إياه ، مما يواجهه رفاقه ..
فوفقاً لما رآه ، سيكون مصير كل من يعرفهم هو الدمار ..

الدمار التام ..

بلا رحمة ..

انتفض جسد الدكتور (راشد) ، قبل حتى أن يبلغ عقله نهاية
ذكرياته ، عندما قال أحد الرجال فى توتر :
— انتهينا .

اتسعت عينا الدكتور (راشد) ، وهو يحدق فى بقعة
الأرض ، التى اختفى تحتها ذلك التابوت الرصاصى السميك ،
الذى يحوى جسد (محمود) ، وظل لسانه عاجزاً عن النطق
لحظات ، قبل أن يقول فى عصبية :

— سنصب فوقه أرضية من الأسمنت المصفح .

بدت دهشة عارمة على الرجال ، وغمغم أدهم :

— ولماذا كل هذا ؟!

لم يكن الدكتور (راشد) يملك جواباً فعلياً ، عن هذا السؤال !!

بل لم يكن يدري حتى لماذا طلب القائد الأعلى كل هذا ؟! ..

ولماذا يخشى (محمود) إلى هذا الحد ؟! ..

لماذا ؟! ..

ولأنه لا يملك جواباً ، فقد هتف بصاحب السؤال ، فى صرامة

عصبية :

— نفذ الأوامر فحسب .

اتسعت عينا الدُّب عن آخرهما ، وهو يحدِّق في وجه (طارق) ،
الذي صوّب إليه مسدسه التردُّدى ، وهو يقول فى صرامة :

— أهذا ما أوصاك به جدى ؟!..

بدا صوت الدُّب شديد التوتر والانفعال ، وهو يقول :

— لا تسئ تفسير الموقف .

رأى (محمود) و(طارق) الصغيرين يظهران ، من خلف
كتفى (طارق) ، ورأى فى عيونهما نظرة اتهام مزقت
مشاعره ، و(طارق) يقول :

— حقاً ؟!.. تتسلل إلى هنا ، وخنجرى فى يدك ، ثم لا ينبغى
أن أسئ تفسير الموقف .. هل يبدو لك هذا منطقياً ؟!

انتفض جسد الدُّب ، وهو يقول ، وقد تضاعف انفعاله :

— لم أتسلل إلى هنا لإيذاتكم ..

قال (محمود) الصغير فى غضب :

— لماذا كان خنجرى إذن ؟!

أجابته منتفضاً :

— لحمايتى من أى هجوم مفاجئ .

صدمته نظرات الشك والاستكار ، التى أطلت من عيون ثلاثهم ،
فاستطرد فى عصبية منفعلة :

— رجال الحصن خالفوا كل ما اعتدناهم منهم ، وصاروا يخرجون
إلى الأطلال ، ويعتقلون من يشاعون ، والأمور لم تعد كما كانت ،
ولا بد للمرء من الحذر .

سأله (طارق) الصغير فى غضب :

— وستحمى نفسك بخنجر .

بدا تأثر شديد فى ملامحه وصوته ، وهو يقول :

— وماذا أملك سواه ؟!

لدقيقة كاملة تقريباً ، ظلّ ثلاثهم يحدقون فيه فى صمت ، وقد
امتزجت مشاعرهم على نحو عجيب ..

فعلى الرغم من ضخامته ، بدا لهم الدُّب يائساً مسكيناً ، وهو
ينطق عبارته الأخيرة ، حتى إن (طارق) خفض مسدسه ، وهو
يميل نحوه ، قائلاً :

— أليس من المفترض أنكم تملكون بعض التكنولوجيا .

هزّ الدُّب رأسه نقياً ، فى أسى أكثر ، وهو يغمغم فى بؤس :

— الذنب وحده يملكها .

سأله في اهتمام :

— ولماذا لا تحظون كلكم بها !؟

هزَّ كفيه الضخمين ، قائلاً :

— لأن ما نملكه من التكنولوجيا ، لا يتجاوز ما رأيتموه في مقر الزعيم .. إنه يستخدمها للتواصل مع رجلنا داخل الحصن فقط .

تبادل الثلاثة نظرة دهشة عارمة ، قبل أن يغمغم (طارق) :

— رجلكم داخل الحصن !؟ .. هل يعمل أحد أفراد الحصن لحسابكم !؟

غمغم الذئب في عصبية :

— كيف علمنا أن الفريق قد عاد إذن !؟

اعتدل (طارق) ، وشرد ببصره بضع لحظات ، قبل أن يغمغم :

— رباہ ..! هذا لم يخطر ببالنا هناك قط ..!!

وخفض مسدسه إلى جوار جسده ، وهو يتحرك في المكان مستطرداً ، وكأنه يحاور نفسه :

— ولكن كيف !؟ .. نظم الأمن لدينا شديدة التطور ، وهي تلتقط

أي اتصال ، يمكن أن يتجاوز الأسوار ، فكيف يمكن لرجلكم أن يتجاوز كل هذا ، ويرسل إليكم معلوماته .

غمغم الذئب ، وهو يدير عينيه في ثلاثتهم في حذر :

— ربما هو أحد ذوى الشأن هناك .

انعقد حاجبا (طارق) في شدة ، وهو يقول ، مواصلاً حوارهم مع نفسه :

— من !؟ ..! ثلاثة فقط يمكنهم هذا .. القائد الأعلى ، والدكتور (راشد) ، و(هيثم) ..

توقَّف فجأة ، وازداد انعقاد حاجبيه على نحو عجيب ، جذب انتباه (طارق) و(محمود) الصغيرين بشدة ، وهو يقول :

— من المستحيل أن يكون (هيثم) ، و ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يقول في صوت خافت ، بدا أشبه بالهتاف :

— الدكتور (راشد) .

انعقد حاجبا الذئب الكئيب في هذه اللحظة ، وهو ينقل بصره بين ثلاثتهم ..

(طارق) كان غارقاً في المفاجأة ..

و(محمود) و(طارق) الصغيران يتابعان ، في لهفة وفضول ..

ولا أحد يراقبه ..

لذا فقد جسم أمره ..

و ...

وانتقض ..

وبمنتهى العنف ..

ذلك الشيء الذى برز من أعماق الأرض ، كان رهيباً بحق ..

لم يكن كأننا حيًا ، وإنما كان آلة ..

آلة عملاقة ، لها هيئة دودة هائلة ، ذات أسنان شديدة الحدة ،
من الصلب القوي ..

وعينان تشتعلان لهيبًا ..

لهيبًا حقيقيًا ..

ولقد ارتفع ذلك الشيء الآلى العملاق أمام (سلوى) و(نشوى)
(رمزى) ، من أعماق الأرض ، ودار وكأنه ينظر إلى ثلاثتهم ،
بالعينين المشتعلتين باللهب ..

كان كأنه يرصدهم أولاً ، قبل أن ينقض عليهم ..

ومع شدة رعبهم ، تراجع الثلاثة فى صمت ، وقد اتسعت عيونهم
عن آخرها ، وخفقت قلوبهم كما لم تخفق من قبل ..

ومن بعيد ، وصل مسامعهم نوى رصاصات ..

رصاصات تقليدية ، يستحيل أن تؤثر فى شيء كهذا ..

مستحيل تمامًا ..

ولقد دار ذلك الشيء حول نفسه ، والتفّ على نحو عجيب ،
واتكمش على نفسه ..

ثم انقضّ ..

انقضّ على ثلاثتهم ..

بكل قوته ..

قبل هذا بلحظات ، كان شيء مماثل ينقضّ على (نور)
و(أكرم) ، فى شراسة أكبر ، وعنف أكثر ..

ويكل قوته ، وثب (نور) جانبًا ، يحتمى بجدار هائل قديم ،
سقط نصفه وتهالك معظمه ..

كان عقله يمر بحالة عيفة من التوتر والعصبية ، بعد أن سمع
صرخة (سلوى) تستجد به ، وتناديه باسمه ..

ويواجه ذلك الشيء ، فى الوقت ذاته ..

وأطلق الرصاص ، و ...

وأصاب الهدف ..

وعلى نحو عجيب — انفجرت عينا اللهب بدوى مكتوم ..

ومع انفجارهما ، انطلق من كل منهما عمود طويل من النار ..

وعلى الرغم من أن ذلك العمود الأوّل من اللهب ، قد مرّ على مسافة متر كامل من (أكرم) ، إلا أنه شعر بلفحه ، كما لو كان

حمماً ملتهباً ، تفجرت من بركان ثائر ..

أما عمود النار الثانى ، فقد أصاب ذلك الجدار ، الذى يختفى خلفه (نور) ، وشعر هذا الأخير بلفح النيران ، وبذلك الجدار القوى

يتزعزع من مكانه ، فوثب إلى الأمام ، وتدحرج مبتعداً عن بقايا الجدار ، الذى انهيار أرضاً ، على قيد سنتيمترات قليلة منه ..

وعلى الرغم من لفح النيران ، وعنف سقوط الجدار ، وثب (نور) و (أكرم) واقفين متحفزين ، مستعدين لهجوم تال ..

ولكن تلك الدودة الآلية العملاقة دارت مرة أخرى حول نفسها ، ثم انتصبت واقفة ، وكأنها عمود من الصلب ، وجمدت فى مكانها تماماً ..

ثم فجأة ، فقدت تماسكها كله ..

وهوت ..

وكان عليه أن يجد وسيلة لإنقاذ نفسه والذود عنها ، وعن ابنته ورفاقه ..

ومما يراه أمامه ، كان هذا يبدو مستحيلًا ..

وبكل المقاييس ..

أما (أكرم) ، فلم يعمل عقله بالسرعة نفسها ..

بل غريزته وحدها عملت ..

وبأقصى سرعة ..

لقد رأى ذلك الشيء ينقض ، وشاهد العينين الملهبتين تشعان بكل الشر ، فاستل مسدسه التقليدى ، ووثب إلى الخلف ، وترك جسده يسقط على ظهره ..

وأطلق رصاصاته ..

أطلقها نحو العينين الملهبتين مباشرة ..

لم يدرس الموقف ..

أو يحسبه ..

أو حتى يخشاه ..

فقط تحرك ..

وبكل بدائيته ..

هوت كالحجر ، لترتطم بالأرض بمنتهى العنف ، على نحو ارتج له المكان كله ، واتسعت معه عينا (أكرم) ، وهو ينظر إلى مسدسه في دهشة ، مغفماً :

— مستحيل !!!.. هل من الممكن أن ..

لم ينتظر (نور) لسمع عبارته ، وهو يهتف :

— الرفاق .

انتزع الهتاف (أكرم) من دهشته ، وجعله يعدو بكل قوته خلف (نور) ، وهو يهتف :

— رياه !! لو أنه نفس الشيء ..

لم يتم عبارته بإرادته هذه المرة ، وكلاهما يعدوان نحو المكان ، الذي تركا فيه (سلوى) و(نشوى) و(رمزي) ..

كان الثلاثة يعدون في كل الاتجاهات ، في محاولة للفرار من تلك الدودة الآلية العملاقة ، التي راحت تدور حول نفسها ..

وتنقض ..

وتنقض ..

وتنقض ..

كانت في كل مرة ، تضرب مبنى أو جداراً ، فيتحطم أو يتهدم في عنف ، و(سلوى) تواصل صراخها ، وهي تعدو مع (نشوى) ، محاولتين الفرار من ذلك الهجوم ، في حين يبحث (رمزي) عن وسيلة لحمايتهما ..

ولكن تلك الدودة الآلية العملاقة التفت حولهم في مهارة ، توحى بأنها مزودة ببرنامج نكاء اصطناعي شديد القوة ، وحاصرتهم في مساحة ضيقة بين بقايا مبنيين قديمين ، واعتدلت ، وهي تحقق فيهم بعينها الشبيهتين بجمرتين من الجحيم ، فأحتضنت (نشوى) زوجها ، وهي ترتجف ، قائلة :

— إنها النهاية ..

احتصنتها (سلوى) بدورها ، وهتفت من وسط دموع اليأس :

— (نور) .. أين أنت !؟

مع هتافها تراجع الدودة الآلية العملاقة ، استعداداً للاقتضاض ، و ... وهنا ، ظهر (نور) و(أكرم) ..

كانا يثبان نحوهم في سرعة وخفة ، و(أكرم) يهتف :

— هنا أيها الوغد .. التفت إلى ..

بدا كأن تلك الدودة المعدنية قد سمعته وفهمته ، فقد التفت إليه بالفعل ، وازداد لهيب عينيها اشتعالاً ، فاندفع (نور) نحو ابنته وزوجته وزميله ، في حين رفع (أكرم) مسدسه ، وهو يكمل :

— هيا .. دعنى أرى عينيك الناريتين .

لا أحد يدرى أى برنامج هذا ، الذى تم تزويد تلك الدودة العملاقة به ، ولكن من المؤكد أنه برنامج شديد القوة ، أو أن ذلك الشيء يدار عن بعد .. وبوساطة عابرة ..

أو غرباء ..

المهم أنه ، وأياً كانت ماهيته ، أو ماهية من صنعه أو يديره ، قد أبدل هدفه ، وانقضَّ على (أكرم) ..

وكما فعل فى المرة السابقة ، أطلق (أكرم) رصاصاته ..

أطلق رصاصة اخترقت إحدى العينين ، وأطلقت منها لسان النار المخيف ، الذى ضرب الأطلال ، وانعكس كالحمم على جسد (أكرم) ، الذى أطلق صرخة ألم عالية :

— أيها الوغد .

ولكن المشكلة أن رصاصته الثانية لم تصب هدفها ..

لقد ارتطمت بالجسم المعنى القوى ، على مسافة أقل من سنتيمتر واحد من العين الملتهبة ..

وانقضَّ ذلك الشيء مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، كانت انقضاضته عنيفة للغاية ..

وسريعة إلى أقصى حد ..

سريعة ، حتى إن (أكرم) لم يجد الوقت ، حتى ليعيد تصويب مسدسه .. وبكل القوة ، ضربته تلك الدودة العملاقة ..

ومع آلام رهيبية ، فى صدره وبطنه ، شعر بجسده يطير ..

ويرطم بالجدران القديمة ..

ثم يهوى ..

هوى مرتطمًا بالأحجار المتهدمة ، وشعر بمزيد من الآلام ، تنتشر فى كل مكان فى جسده تقريباً ..

ودار ذلك الشيء ؛ لينقض عليه مرة أخرى ..

وهذه المرة ، كان يبرز أسنانه شديدة الحدة ..

وقبل حتى أن يرفع (أكرم) مسدسه ، كان ذلك الشيء ينقض بأسنانه ، ويطبّقهما على هدفه ..

وبمنتهى القوة ..

Looloo

www.dvd4arab.com

2- الأطلال ..

صمت رهيب ، ران على حجرة القائد الأعلى ، وهو يجلس خلف مكتبه ، ويتابع ما تعرضه تلك الشاشة الهولوجرامية الكبيرة أمامه ..

بوسيلة ما ، كان يرصد كل ما يحدث هناك ..

في قلب الأطلال ..

ولسبب ما ، كان شديد الاستمتاع بما يراه ..

(نور) وفريقه يقاتلون ذلك الشيء ..

ذلك الشيء الذى ينقض عليهم بعين واحدة ملتهبة ..

وبمنتهى منتهى العنف ..

كان قد رأى كيف واجه (أكرم) الدودة العملاقة الأولى ..

وكيف أسقطها ..

بمنتهى البدائية ..

آلة تكنولوجية عملاقة ، أسقطتها رصاصات تقليدية قديمة ..

رصاصات لم ينتظرها أو يتوقعها أحد ..

على الإطلاق ..

ولكن (أكرم) لم يعد قادراً على إسقاط الثانية ..

وها هي ذى تنقض عليه ، و ...

فجأة ، اختفت تلك الصورة الهولوجرامية ، وخفت الإضاءة دفعة واحدة ، بلا مقدمات ..

ثم ظهرت تلك التموجات العجيبة ، فى سقف الحجرة ، ومنها اتبعث ذلك الضوء غير التقليدى ..

وعلى الرغم من غضبه ، نهض القائد الأعلى فى سرعة ، ووقف تحت ذلك الضوء ، وراحت ملامحه تستعيد أصلها غير البشرى ، وهو ينصت فى اهتمام شديد ..

اهتمام بدا معه من الواضح أنه يتلقى اتصالاً ما ..

اتصال بالبحر الأهمية ..

إلى أقصى حد ..

وفى عصبية ، غمغم :

— كلا .. ما زلت أسيطر على كل شيء .. إننى أدير الأمور ،

منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، دون أن تختل العظمة والحدة ..

أنصت مرة أخرى ، ثم أضاف ، فى عصبية أكثر :
 — فرارهم لا يعنى شيئاً .. إنهم ما زالوا تحت سيطرتى ،
 وما حدث لا يتجاوز ما يحدث بالفعل .. اختبار .

تزايدت التموجات فى السقف على نحو واضح ، فقال فى نوتر :
 — لا .. لا ينبغي أن أتدخل على نحو سافر .. لا بد أن يسير كل
 شيء بأسلوب طبيعى للغاية ، حتى لا يتطرق الشك إلى أحد منهم .

صمت لحظات ، وتابع :

— أعلم أنهم يشكون فيما يدور بالفعل ، ولكننى واثق من أنهم
 لا يتصورون الحقيقة ، ولا تقترب عقولهم حتى منها .

كانت تلك التموجات تختلف ، من الشدة إلى الهدوء ، ومن سرعة
 التغيير إلى بطئه ، على نحو يوحى بأنها حديث متصل ..

حديث غير أرضى ..

بانفعالات نعرفها أرضياً ..

بانفعالات تتراوح بين الصرامة ، والشدة ، والغضب ، والحسم ،
 والحزم ، والجدال ..

وكانت ردود أفعال القائد الأعلى ، هى خير دليل على هذا ..

ففى تلك اللحظة ، بدا عصبياً أكثر ، وهو يقول :

— مستحيل !.. مهما بلغ ذكاء عقولهم ، لن يمكنهم حتى
 تخيل الحقيقة ، ولا حتى الاقتراب منها .

عادت التموجات تتزايد ، فى الشدة والسرعة والحجم ، فقال
 فى صرامة ، امتزجت بعصبية :

— كثيرون أمكنهم الوصول إلى (كوباء) ، ولكن أحداً لم
 ينجح فى اختراقه حتى الآن ، ولن ينجح أحدهم .. حتى هم ، لن
 يمكنهم هذا .

استمع إلى تلك التموجات مرة أخرى ، ثم شد قامته ، على
 نحو شبه عسكرى ، وهو يقول :

— نعم .. إننى أتحمّل المسؤولية كاملة .

هدأت التموجات تدريجياً ، حتى اختفت فى السقف تماماً ،
 فغمغم هو ، وهو ، يستعيد وجه (أيمن) ، ويعود إلى مكتبه :

— أتحمّلها كاملة .

لم يكد يستقر خلف مكتبه ، حتى عادت تلك الشاشة الهولوجرامية
 للعمل ، ونقلت إليه صورة ما يحدث هناك ..

فى قلب أطلال الماضى ..

وفى شدة ، انعقد حاجباه ..

فمن الواضح أن ما رآه كان يختلف عما توقعه ..

كثيراً ..

جداً ..

انقضت تلك الدودة الآلية العملاقة على هدفها بكل قوتها ،
وهي تبرز أنياباً معدنية طويلة ، شديدة الحدة ..

وتراجع (أكرم) بقدر استطاعته ..

وشهقت (سلوى) ..

وصرخت (نشوى) ..

وارتجف (رمزي) ..

ووثب (نور) ..

وأطبقت تلك الأنياب الرهيبة ..

ولوهلة ، تصور (أكرم) أن تلك الأنياب قد انطبقت على جسده ..

وأنها قد مزقته تمزيقاً ..

وبكل قوته ، أغلق عينيه ، ورفع يده ليحمي وجهه ، و ...

وسمع صوت تحطم زجاج سميك ..

وشعر بلفح لهيب رهيب ..

وارتفعت حرارة الصخرة التي سقط عليها إلى حد مخيف ،

جعله يثب من فوقها ، مطلقاً صرخة محدودة ..

ومن المؤكد أن وثبته هذه قد جاءت في موعدها ..

وبمنتهى الدقة ..

ففى اللحظة التالية مباشرة ، هوت تلك الدودة الآلية العملاقة ،
على قيد سنتيمترات قليلة منه ، وكان لارتطامها بالأرض وقع
رهيب ، ارتج مع المكان كله ، وتهافت معه قطع كبيرة من
الصخور ، جعلت (نور) ورفاقه يتراجعون بحركة غريزية ، فى
حين رأى (أكرم) قطعة كبيرة من الصخر تهوى نحوه ، فحاول
تفاديها ، إلا أنه شعر بيد قوية تجذبه بعيداً ، مع صوت خشن ،
يقول فى لهجة ، امتزجت فيها الجندية بالسخرية :

— رأسك ليس صلباً إلى هذا الحد

أغمض (أكرم) عينيه ، مع كمية الغبار الهائلة ، التى صحبت

الانهيار ، ولكن فضوله الشديد جعله يفتحهما ، على الرغم من

أجابه في هدوء ، لا يتفق حتى مع الموقف :

— يمكنك أن تدعوني (إتش) ، كما كان يدعوني أصدقائي المقربون فيما مضى ، أما اسمى الرسمى ، فهو (هاشم) .. ولست أظن للألقاب أية أهمية ، فى هذا العصر .

بلغه (نور) و(رمزى) فى هذه اللحظة ، ولكنهما لاذا بالصمت ، واكتفيا بتفحص الرجل ، الذى لم يبد أيضاً اهتماماً بهذا ، و(أكرم) يشير إلى الدودة الآلية ، التى سقطت أرضاً ، متسائلاً :

— هل أسقطت هذا الشيء ، بتلك الأسهم البدائية .

ابتسم (هاشم) ، وهو يسحب أحد الأسهم ، ويشير إلى الرأس المعدنية ، والقارورة الزجاجية الملصقة بها ، قائلاً :

— ليست بدائية تماماً كما تبدو .. تلك الرعوس مصنوعة من (السوبرتيتانيوم) ، وهى سبيكة جديدة نسبياً ، تبلغ صلابتها ثلاثة أمثال صلابة مادة (التيتانيوم) القديمة ، وهى أخف وزناً بمرتين على الأقل*) ، أما تلك القنينة الملصقة بها ، فهى تحوى حمضاً أمينياً شديد الفتك .

(*) تيتانيوم : عنصر فلزى ، أبيض فضى لامع ، (رمزه تين) تصنع منه سبيكة مع الصلب ، فيزيد من صلابته وقوة ثقله . وهو يستخدم فى صنع المواد أو الأشياء ، التى تحتاج إلى مزيد من الصلابة والخفة ، مثل مكونات الفضاء .

هذا ؛ ليحذق فى ذلك الواقف أمامه ، فى نفس اللحظة التى تحرك فيها (نور) فى توتر ؛ محاولاً حماية صديقه ، وهتفت فيها (سلوى) :

— رباه !.. من هذا !؟

كان ذلك الرجل ، الواقف أمام (أكرم) وسط الغبار ، يبدو أشبه بصورة من كتاب تاريخ قديم ، أو من رواية تاريخية ، من روايات سير (والتر سكوت) العظيمة*) ..

كان طويلاً ، متين البنيان ، يحمل قوساً بدائياً ، وعلى كتفه جعبة من أسهم ، ذات رعوس معدنية قوية ، التف على كل منها شكل زجاجى شبه كروى ، يمتلئ بسائل ما ..

وعندما اندفع (نور) و(رمزى) نحوه ، لم يبد اهتماماً ملحوظاً ، وهو يتابعهما ببصره ، فى حين نهض إليه (أكرم) ، وسأله فى توتر ، لا يحمل أدنى أثر للضعينة ..

— من أنت يا رجل !؟

(*) سير (والتر سكوت) : (1771 - 1832م) : شاعر روائى بريطانى ، تخرج من جامعة (أدنبره) ، ودرس فى (اسكتلندا) ، وبدأ حياته العملية بجمع الأشعار الشعبية فى بلده ، من أشهر أعماله (سيدة البحيرة) عام (1810م) ، و(ياقهو) ، عام (1830م) ، وروايته عن (صلاح الدين الأيوبي) (الظلم) ، عام (1831م) .

ثم غمز بعينه ، مضيقاً :

— وسريع التأثير أيضاً .

نقل (أكرم) بصره ، بين (هاشم) وتلك الدودة العملاقة ،
قبل أن يمد يده إلى الرجل ، قاتلاً :

— لقد أتقنت حياتي .. شكراً لك .

تجاهل الرجل اليد الممدودة إليه ، ورفع قوسه على ظهره ،
وهو يقول ، في استهتار عجيب :

— لم أسع إلى هذا في الواقع ، ولكنني أبغض تلك الأشياء ،
وخروجها إلى السطح ، كان فرصة لم يمكنني تفويتها .

استدار ، وكأنه بهم بالانصراف ، قبل أن يلتفت مرة أخرى
إلى (أكرم) ، قاتلاً :

ولقد جذبني دوى رصاصاتك ، الذي اشتقت إلى سماعه طويلاً :

غمغم (أكرم) ، بشيء من الابتهاج :

— حقاً ؟!

أدار (هاشم) عينيه فيهم جميعاً ، وتوقفت نظراته لحظات
عند (سلوى) و(نشوى) ، قبل أن تتركز عند (نور) ، وهو
يسأل في حذر :

— أنتم هاريون مثلي .. أليس كذلك ؟!

جلس (نور) على جسم تلك الدودة الآلية العملاقة ، وهو يقول :

— أنت هارب ؟!

هزَّ (هاشم) كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

— أظنني أحاول هذا .

ثم ابتسم ابتسامة عجيبة ، فيها من الأسى أكثر مما فيها من
السخرية ، وهو يضيف :

— منذ ثلاث سنوات .

تبادل الجميع نظرة متوترة ، قبل أن يسأله (رمزي) في حذر :

— ومم تفر بالضبط ؟!

أشار (نور) إلى (رمزي) ، وكأنه يعترض سؤاله ، وهو
يسأل (هاشم) بدوره :

— وما الذي منعك من الفرار ؟!

اتقلبت شفتا الرجل ، في غضب وامتعاض ، وهو يقول :

— (كوياء) .

هتف (أكرم) مستكراً :

— ماذا ؟!

لَوْح (هاشم) بيده ، فى توتر ملحوظ ، وهو يجيب :

— ذلك الحاجز العجيب ، الذى يحيط بكل شىء .. حاجز حاولت اختراقه ، لأكثر من ثلاث سنوات ، ولكننى فشلت تمامًا .

احتقن وجهه ، وهو يضيف فى حدة :

— إنهم يحتجزوننا هنا ، كما لو كنا حيوانات أليفة ، داخل قفص مخملى ، يستحيل اختراقه .

تمتت (سلوى) فى توتر :

— ولكنهم محتجزون داخله مثلنا .. ألا يوحى هذا بأنهم صنعوه للحماية ، وليس للاحتجاز .

قال فى عصبية :

— هذا لو أنك تتصوّرين أنهم من يحكمون كل هذا .

جذبت العبارة انتباه (نور) فى شدة ، فسأله فى اهتمام :

— إلى ماذا تشير بالضبط يا هذا ؟!

أجابته فى صرامة :

— (هاشم) .. اسمى (هاشم) .

ثم مال نحو (نور) بشدة ، حتى لفحت أنفاسه وجه هذا الأخير ، وبدت عيناه وكأنيهما تفوصان فى أعماق أعماقه ، وهو يضيف :

— ولو أن ما بلغنى صحيح ، وأن ذاكرتى لم يصبها الصدا ، وبدت قلة الاستخدام ، فأنت المقدم (نور الدين) .

واعتدل بحركة حادة ، وهو يدير عينيه فى الباقيين ، مستطردًا :

— وهذا فريقك .. زوجتك (سلوى) ، وابنتك (نشوى) ، وخبير علم النفس الشهير ، الدكتور (رمزى) ، و ...

توقف بصره عند (أكرم) ، وصمت لحظة ، قبل أن يتابع :

— (أكرم) .

بدا كأن التأثير قد غلبه بضع لحظات ، ثم أضاف بصوت مختلج :

— مثلى الأعلى .

هتف (أكرم) فى فرحة غمرت توتره :

— أنا ؟!

تتحنح (هاشم) على نحو عصبى ، وأشاح بوجهه عن (أكرم) ، وعاد يتطلع إلى (نور) ، ورفاقه المشدوهين ، وهو يقول فى صرامة مفاجئة :

— ولكن ممن تفرّون أنتم .. يا أسطورة الماضى ؟!

لم يجب أحدهم سؤاله ، فى حين شدّ (نور) قامته وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى صرامة :

— لم تجب سؤالى بعد ؟!

ابتسم (هاشم) فى سخرية مريرة ، وهز رأسه فى بضع ، قائلاً :

— أنت الأسطورة .. اكشف هذا بنفسك .

قالها ، واستدار لينصرف ، فوثب (نور) نحوه ، وأمسكه من ذراعه ، وجذبه إليه ، وهو يهتف فى صرامة :

— انتظر .

أطلق الرجل صرخة قتالية مخيفة ، امتزجت بزمجرة وحشية ، ودار على عقبه فى حركة شديدة السرعة ، وانطلقت صرخة (سلوى) مدوية ، وخنجره بهوى ...

على قلب (نور) مباشرة ..

منذ اللحظة الأولى ، أثبت الدب أنه مقاتل شرس ، لا يشق له غبار ، وأنه ، وعلى الرغم من ضخامته ، خفيف الحركة إلى حد مدهش ..

ففى لحظة واحدة ، اختار خصومه ، وانقضَّ على (طارق) ، وكبَّل حركته بذراعه اليسرى ، وهو ينتزع منه مسدسه الترندى بيمناه ..

وعندما اندفع (محمود) نحوه ، أطلق زمجرة مخيفة ، وهو يستدير ويركله فى صدره ركلة عنيفة ، دفعته حتى آخر الحجرة ، وضربته بجدارها فى قوة ..

وبكل ما يملك من إرادة ، انتزع (طارق) الصغير نفسه من المفاجأة ، ووثب يتعلَّق بعنق الدب ، الذى أطلق زمجرة أكثر قوة ، وتراجع دون أن يقلت (طارق) الكبير ، حتى ضرب (طارق) الصغير بالجدار خلفه فى عنف ، شعر معه هذا الأخير بالآلم رهيبية فى عموده الفقرى ، اضطرتة لإفلات عنق الدب ، الذى دار حول نفسه فى خفة ، على الرغم من أنه ما زال يحمل (طارق) فى ذراعه اليسرى ، وركله ركلة عنيفة ، أسقطته أرضاً ..

وعندما استجمع (محمود) الصغير قواه ، ونهض لمواصلة القتال ، وجد فوهة المسدس الترندى مصوبة إلى صدره ، و(طارق) الكبير يحاول عبثاً التخلص من ذراع الدب الأقوى من الصلب ، فى حين سقط (طارق) الصغير أرضاً ، والدب يضع قدمه على صدره فى قوة ..

ولقد شاهد هذا لحظة واحدة ، ففى اللحظة التالية ، دار الدب نصف دورة ، وألقى (طارق) الكبير بكل قوته ، فارتطم بجسد (محمود) بمنتهى العنف ، وسقط الاثنان أرضاً ، والآلام تصرخ فى كل أنحاء جسديهما ..

وقبل حتى أن يستعيدا وعيهما ، كان الدب يجلس أمامهما . وسلاح (طارق) فى يده الضخمة ، مباشرة ..

مرّت ثانيتان من الصمت المتوتر ، قبل أن يقول (طارق) فى عصبية :

— ماذا تنتظر !؟

ظَلَّ الذَّبُّ يحدِّقُ فيه لحظات ، دون أن يحمل وجهه أية انفعالات ، ثم أدار مسدسه فى يده بحركة سريعة ، ومدَّ يده به إلى (طارق) ، وهو يمسه من ماسورته ، وكأنه يدعو (طارق) للإسك به .. وللحظات ، تردَّد (طارق) ، الذى لم يستوعب ما فعله الذَّبُّ ، ثم لم يلبث أن مدَّ يده إلى مقبض مسدسه فى حذر ، فغمغم (محمود) الصغير ، فى توتر شديد :

— احترس .

ولكن (طارق) أمسك مقبض مسدسه ، وشدَّد قبضته عليه ، ثم جذبته من يد الذَّبِّ فى حذر ، وتخلَّى عنه الذَّبُّ فى بساطة ، وظلَّ يحدِّقُ فى عيني (طارق) لحظة ، ثم لم يلبث أن نهض ، واتجه نحو (طارق) الصغير ، وانحنى يساعده على النهوض ، وهو يقول بصوته الغليظ :

— هل يكفيك هذا !؟

سأله (طارق) ، وهو ينهض فى حذر ، مصوبًا مسدسه إليه :

— يكفينى لماذا !؟

جلس الذَّبُّ على مقعد خشبى قريب ، وهو يقول :

— لتمنحنى ثقتك .

بدت الدهشة على وجوه ثلاثتهم ، وغمغم (محمود) الصغير :

— هل فعلت كل هذا لـ ...

قاطعه الذَّبُّ فى هدوء :

لكى تدركوا أننى ، لو كنت أنشد قتلكم ، لفعلت ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى غلظة :

— وما كنتم تستطيعون معنى .

وصمت لحظة أخرى ، ليتابع :

— كما رأيتم .

ران على ثلاثتهم صمت مهيب ، استغرق ما يقرب من دقيقة كاملة ، لاذ خلالها الذَّبُّ بالصمت التام ، وهو ينظر إليهم ، وهم يقتربون من بعضهم البعض ، و(محمود) و(طارق) الصغيرين ينظران إلى (طارق) ، وكأنهما ينشدان المشورة ، فوضع مسدسه فى عنقه ، وهو يقول :

— لماذا أتيت إلى هنا متسللاً إذن !؟

أجابه الدب في حزم :

— لقد سبق أن أخبرتك .

ثم مال نحوهم في جلسته ، مضيفاً :

— كنت أحاول حمايتكم .

غمغم (طارق) الصغير ، في دهشة مستنكرة :

— تحميننا؟! .. مم؟!!

نهض الدب من مقعده القديم ، على نحو مفاجئ ، زاد من الإحساس بضخامته ، وهو يلوح بيديه ، قائلاً :

— المفترض أنكم هنا في منزل آمن ، ولكن الذئب لديه بالفعل عين ، داخل الحصن ، ولقد علم أن بعضهم كشف أمركم ..

مال نحوهم مرة أخرى ، مضيفاً في حزم غليظ :

— ويرغب في القضاء عليكم .

مرة أخرى تبادلوا نظرة صامتة ، ثم قال (طارق) في حزم :

— ما زال هذا لا يبرر تسلكك إلى هنا .

زمرج الدب ، قائلاً :

— لو رأوني لقتلوني أيضاً .

بدأت إجابته شديدة المنطقية ، حتى إن الصمت غلّفهم مرة أخرى ، حتى تحرك (طارق) الكبير ، وجذب مقعداً ، جلس عليه قبالة الدب ، الذي عاود الجلوس بدوره في توتر ، فمال (طارق) نحوه ، يسأله :

— وإلى أية جهة ينتمي أولئك ، الذين يسعون لقتلنا؟!!

هزّ الدب رأسه في عصبية ، مجيباً :

— لست أدري .

تفرّس (طارق) ملامحه بضع لحظات ، في تمعن شديد ، فشرع الدب بالتوتر ، وأشاح بوجهه ، وهو يقول في عصبية أكثر :

— لقد أجبتك .

ظلّ (طارق) يتفرّسه بضع لحظات أخرى ، ثم لم يلبث أن تراجع في مقعده ، وقال في هدوء حازم :

— هل تعلم أيها الدب ، أنني فعلياً ، أصغر الموجودين هنا سنّاً؟!!

عاد الدب ببصره إليه في حيرة ، فتابع بنفس الحزم :

— القياسات العمرية في عائلتنا كلها مختلة ، على نحو عجيب ؟

بسبب كل ما مرّ به الفريق من أمور عجيبة وحزينة ، وكان ما خاضه من مواجهات ، من قاع المحيط ، وحتى أعماق الكون السحيق .

حدقّ فيه الدُّب بنظرة بلهاء ، فتابع في صرامة :

— موهبة ورثتها عن والدي (رمزي) ، أسطورة التحليل النفسى ، وكشف أغوار الطبيعة البشرية .. موهبة جعلتني أدرك أنك تكذب ، عندما تقول : إنك لا تعرف هوية من يسعون لقتلنا .

بدا الدُّب شديد العصبية ، وهو يقول :

— إنك تضعي وقتاً ثميناً ، برواياتك العقيمة هذه .. إننا لم نكن نعلم علاقتك بالأسطورة وفريقه ، أما الباقي ، فأى طفل هنا يحفظه عن ظهر قلب ، وهذا بالتأكيد ليس الوقت المناسب لترديده ، فهم فى طريقهم إلى هنا .

صاح به (طارق) فى غضب :

— من هم !؟

أجابته صوت (محمود) الصغير مرتجفاً :

— اخفض صوتك يا شقيقى .. إنهم هنا بالفعل .

وثب (طارق) من مكانه ، فى نفس اللحظة ، التى زمجر فيها الدُّب ، قائلاً فى غضب :

— أرايت !؟

تمتّ الدُّب فى حيرة أكثر ، امتزجت بتوتر عنيف :

— لقد قرأنا هذا التاريخ .

تابع (طارق) ، وكأنه لم يسمعه :

— إثر تجربة عجيبة من غرباء ، قلب فى المحيط ، قفزت أمى (نشوى) بغتة ، من الطفولة إلى الشباب ، حتى إن عمرها صار مقارباً لعمر أمها وجدتي (سلوى) (*) ، ثم وابتقالهم عبر الزمن ، لأكثر من ثلاثين عاماً ، قضوها فى غيبوبة عميقة ، وجد جدى وجدتي نفسيهما فى سن خالى (طارق) ، وشقيقى (محمود) (**).. وفعلياً أنا شقيق (محمود) الأصغر ، وهو يكبر خالى (طارق) ، وعودة الفريق جعلت الرائد (نور) ، وزوجته (سلوى) ، يعيشان فى عمر متقارب ، مع ابنيهما وحفيديهما ، و ...

قاطعته الدُّب فى عصبية :

— ما الذى يعنيه كل هذا بالضبط !؟

مال (طارق) نحوه بحركة مباغتة ، قائلاً :

— يعنى أننى قد نجحت فى استثارة أعصابك ، حتى يمكننى كشف أغوارك .

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (62) .

(**) راجع قصة (عالم جديد) .. المغامرة رقم (156) .

3 - الحصار الأسود ..

ليل أسود طويل ، ذلك الذى سيمضيه (طارق) ، فى سجنه الضيق هذا ، حتى تنفد طاقة (الزوروم) الحيوى من جسده ..

ليل بلا نهاية ..

حصار بلا حدود ..

حصار أسود ..

أسود ..

بل شديد السواد ..

ووفقاً لتلك المعلومات ، التى تدفقت من (الزوروم) الحيوى إلى عقله وأعماقه ، كان يدرس أن ذلك الحصار لن يستمر أعواماً ..

بل سيستمر قروناً ..

قرون طويلة ، قبل أن تنفد الطاقة ، ويعود جسده الزورومى إلى ما كان عليه منذ البداية ..

فراغ ..

مجرد فراغ ..

وبنظرة واحدة ، عبر فرجة النافذة ، أدرك (طارق) أن الدب كان صادقاً بالفعل ..

لقد كان هناك جيش صغير يحاصر ذلك المنزل الآمن ، الذى يختبئون فيه ..

جيش مسلح بالأسلحة البيضاء ..

وبالقلوب السوداء ..

جداً .

وحتى هذا الجسد ، المصنوع من (الزوريوم) الحيوى ، والذي
امتزجت به جيناته الأصلية ، يرقد فى حالة عجيبة من الجمود ..
المادة نفسها تزخر بالطاقة ، ولكنه لا يستطيع تحريك أنملة
منه ، لسبب يجهله تماماً ..

القائد الأعلى فعل به شيئاً ما ، عندما لمسه ..

شئ لا تستطيع حتى طاقة (الزوريوم) فهمه ..

شئ غير أرضى ..

وغير بشرى ..

حتمًا ..

ولكن ، على الرغم من هذا ، فالمشكلة ليست فى سجنه ،
الذى يبدو أنه سيستمر ، إلى نهاية العالم ..

المشكلة فى رفاقه ..

إنهم يعانون ..

ويتعذبون ..

ويواجهون خطرًا ، لا قبل لهم به ..

هذا ما رآه ..

أو ما أراه إياه ذلك القائد الأعلى ..

شئ ما فيه اخترق عقله ..

وغاص فى أعماقه ..

وأراه ..

أراه ما يحدث ..

وما سوف يحدث ..

أراه الحاضر ..

والمستقبل ..

اخترق معه حدود الزمان والمكان ، وجعله يشاهد ذلك المصير
الرهيب ، الذى ينتظر رفاقه ..

كلهم سيفنون ..

كلهم ..

ويلا استثناء ..

حتى هذا العالم ، سيفنى ..

وسيضيع ..

إلى الأبد ..

« لا .. » ..

ولسبب يجهله ، قفز إلى ذهنه اسم واحد ..

(س - 18) ..

ومع الاسم ، وثب سؤال مهم جداً ..

لقد عاد الجميع ..

فأين (س - 18) ..

ماذا أصابه؟! ..

ماذا؟! ..

« هنا » ..

نطق القائد الأعلى الكلمة ، فى صرامة شديدة ، وهو يواجه
الرائد (هيثم) ، الذى حاول أن يتماسك ، مع ذلك الخوف
العجيب ، الذى صار جزءاً من شخصيته ، منذ بدأ يرى القائد
الأعلى بصورة جديدة ..

صورة مخيفة ..

مفزعة ..

ورهيبة ..

تفجرت تلك الصرخة قوية فى أعماقه ، وارتج لها جسده كله ..

لا .. لن يرقد هنا ساكناً ، ويترك رفاقه يواجهون هذا المصير

الرهيبي ..

لن يستسلم لرؤية مستقبلية ..

فمهما كان وضوح الرؤية ، فالمستقبل لم يحدث بعد ..

والمستقبل بيد الله (سبحانه وتعالى) ..

أدهشه ذلك الشعور القوى ، الذى جاب كل خلية من خلاياه ،

فور ذكره لاسم الله (عزّ وجلّ) ..

ومن أعماق أعماقه ، استيقظت مع الكلمة ، تلك المشاعر

البشرية الجامدة ..

ومن كل خلجة من خلجاته ، انطلق الهتاف ..

هتاف باسم الخالق عزّ وجلّ ..

وانتفض جسده ..

انتفض ..

انتفض ..

وانتفض ..

لا أحد يذكره ..

أو يتحدث عنه ..

أو يعلم حتى كيف يبدو ..

لا أحد ..

على الإطلاق !!

فكيف هذا !؟ ..

كيف !؟ ..

« لم تخبرنى بعد ، ما الذى ذُكرَ بذلك الآلى ؟! .. »

بكل الصرامة ، انتزعها القائد الأعلى من أفكاره وتوتره ،

فانتفض جسده ، وهو يقول فى سرعة :

— صدقنى يا سيدى .. لست أدرى !

كان يتوقع من القائد الأعلى ثورة أو غضباً ، فترجع بحركة

غريزية ، وهو يلقي عبارته ، ولكن القائد الأعلى تراجع فى مقعده ،

وتطلع إليه طويلاً ، ورفع سبابته ، يداعب بها ذقنه ، فى تفكير

عميق ، قبل أن يقول ، وكأنه يردد قوله :

— لست تدري !؟ ..

وفى تردد متوتر ، غمغم :

— هل نحتفظ به هنا !؟

صمت القائد الأعلى لحظة ، قبل أن يقول فى صرامة :

— ما الذى ذُكرَ به !؟

لم يدر (هيثم) حقاً بِمِ يجيب !..

لقد وثب الاسم فجأة إلى ذهنه ..

وثب ، وكأنما نبت من العدم ..

كان منهمكاً فى بعض الأعمال ، عندما وثب الاسم والسؤال

إلى ذهنه ..

لقد عاد جميع أفراد الفريق ، والتاريخ يذكر الكثير عن لحظة

اختفائهم ..

ولكن (س — 18) اختفى تماماً ..

اختفى من التاريخ ..

ومن الوجود ..

وحتى من الأذهان ..

صمت طويلاً ، وعلامات التفكير العميق تملأ وجهه ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، وسأله فى اهتمام شديد :

— صف لى ما حدث بالضبط !؟

حار (هيثم) فى الجواب ، فقلب كفيه ، مغمماً فى توتر :

— لست أدرى حتى ماذا حدث يا سيدي .. كنت أودى ما أمرتني به ، وفجأة ، شعرت كأن السؤال قد اقتحم أعماقي ، وسيطر علىّ ، حتى إنه دفعنى للقدوم إلى هنا ، و ...

قاطعته القائد الأعلى بإشارة من يده ، فابلتغ باقى عبارته على الفور ، وبدأ يتنفس فى سرعة وتوتر ، وكأنه يواجه اختباراً رهيباً ، واتسعت عيناه نسبياً ، وهو يحدّق فى القائد الأعلى ، الذى انعقد حاجباه فى شدة ، وبدا كأنه قد استغرق تماماً فى تفكير عميق ، قبل أن يعتدل فجأة ، قائلاً :

— على أية حال ، إننا نحتفظ بجسده الآلى المنيع هناك ، فى قبو الحصن .

ردّد (هيثم) بأنفاس مبهورة :

— فى قبو الحصن !؟

أوما القائد الأعلى برأسه إيجابياً ، وهو يقول :

— نعم .. فى القبو السفلى .. داخل الحجرة الحصينة .. إنه هناك منذ زمن طويل .

ظلّ (هيثم) يحدّق فى القائد الأعلى لحظات ، وهو لا يدرى ، حتى فى أعماق أعماقه ، لماذا ينبغى أن يثير هذا اهتمامه ..

إنهم يحتفظون بجسم (س — 18) هناك ..

داخل الحجرة الحصينة ، فى القبو السفلى للحصن .

فقيم يعنيه هذا !؟ ..

ولماذا تصوّر أنه يعنيه !؟ ..

أو يمكن أن يعنيه !؟ ..

لماذا !؟

لم تستمر أفكاره طويلاً ، قبل أن يقاطعه القائد الأعلى فى حسم ، قائلاً :

— هل تريد شيئاً آخر !؟

انتفض جسده مرة أخرى ، وقال :

— مطلقاً يا سيدي .

أشار إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى صراحة :

— عد لإكمال ما أمرتك به إذن .

قالها ، وذلك الجزء من الجدار يتموِّج ، معلناً انتهاء الزيارة ،
فتراجع (هيثم) نحوه ، وهو يقول فى توتر شديد :

— فوراً يا سيدي .. فوراً .

وثب عبر الفتحة التي تكونت فى الجدار ، والتي اختفت فور
خروجه ، وعاد الجدار يتموِّج مرة أخرى ، ثم استعاد قوامه الصلب ،
فتراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وقال لنفسه فى غضب :

— السؤال اقتحم أعماقه ، وسيطر على عقله !!.. من أقحمه
إذن ، ولماذا !؟

نهض من خلف مكتبه ، ودار حوله ، ليقف فى منتصف
الحجرة ، مكملاً :

— من غيرنا يمتلك تلك القدرة ، على الغوص فى عقول
البشر !؟.. من يمكنه هذا !؟

تحرك مرة أخرى ، وهو يضيف :

— ولماذا (س — 18) !؟

توقف فجأة ، وشردت أفكاره لحظة ، ثم استطرد فى صرامة :

— ولماذا (هيثم) !؟

توقَّف لحظات فى تفكير عميق للغاية ، ثم اعتدل فى حسم ،
وقال بمنتهى الحزم والصرامة :

— يبدو أنه لا مفر من تطبيق القاعدة الأساسية للقتال .. التضحية
بالقطع ، التي يمكن ألا تجلب المتاعب ، لإخلاء الطريق أمام النصر .

اتجه مباشرة إلى جهاز الاتصال الهولوجرامى فوق مكتبه ،
ومرر يده فوقه ، فظهرت شاشة الاتصال الهولوجرامية ، وعليها
وجه قائد أمن الحصن ، الذى قال فى لهجة عسكرية صرفة :

— أوامرك أيها القائد الأعلى .

أجابته فى لهجة أمرة صارمة :

— الرائد (هيثم) قد يتجه ، فى أية لحظة الآن ، إلى الحجرة
الحصينة ، فى القبو السفلى .. مرّ من توليهم ثقتك من رجالك ،
أنهم لو رأوه يفعل ..

صمت لحظة ، ثم أضاف بمنتهى الصرامة :

— أن يقتلوه .

على الرغم من الدهشة العارمة ، التي تملكت قائد أمن الحصن ،
إلا أنه ظل محتفظاً بلهجته العسكرية الصرفة ، وهو يقول :

— أمرك يا سيدي .

أنهى القائد الأعلى الاتصال ، وصمت لحظات ، وهو يقف
وقفة مشدودة ، قبل أن يقول في صرامة :

— المشكلة أنك ، حتى لو تجاوزت كل هذا ، فلن تجد ذلك
الآلى هناك أيها الرائد .. ولن تعرف أين هو أبداً .. أبداً .

نطقها بكل الصرامة ..

وكل الوحشية ..

كلها ..

عجيبة هي سرعة رد الفعل ، التى يكتسبها من اعتادوا
مواجهة الخطر ..

وبخاصة من عايشوه طويلاً ..

وعرفوه ..

وآلفوه ..

وصار جزءاً من حياتهم اليومية ..

ففى نفس اللحظة ، التى ارتفع خنجر (هاشم) ؛ ليهوى على
قلب (نور) ، وثب (أكرم) .

لم تكن المسافة ، التى تفصله عن (نور) كبيرة ، ولكن
سرعة رد فعله كان لها تأثير كبير ..

كبير جداً ..

ففى أقل من الثانية ، كانت أصابعه الفولاذية ، تقبض على
معصم (هاشم) ، قبل أن يبلغ نصل خنجره قلب (نور) ،
بسننيمتر واحد ..

وعندما اكتملت الثانية ، كان يسوى معصم الرجل فى قوة ،
وهو يهتف فى صرامة شديدة :

— إياك و (نور) .

وفى الثانية التالية ، كان يضرب قدم (هاشم) إلى الأمام ، ويلوى
ذراعه إلى الخلف ، فاختل توازن الرجل ، وسقط منه خنجره ،
وارتطم بالأرض فى عنف ، وجثم (أكرم) فوقه ، وهو يضيف :

— إنه صديقى .

المدهش أن (هاشم) لم يغضب ..

ولم يقاوم ..

أو حتى يثور ..

إنه ، على العكس تماماً ، ايتسم فى وجهه (أكرم) ، مغشياً
فى لهجة أشبه بالقصر :

— كان ينبغي أن أتوقع هذا .

استفزَّ هذا الأسلوب البارد (أكرم) ، فرفع قبضته المضمومة ، ليهوى بكلمة غاضبة على وجه (هاشم) ، إلا أنه فوجئ بيد (نور) من خلفه تمسك قبضته ، وسمع صوته يقول :

— لا تفعل .

وأضاف (رمزي) في هدوء ، لا يتفق مع الموقف :

— إنه لم يقصد قتل (نور) .

قال (أكرم) في عصبية :

— ولكنه كاد أن يفعلها .

أجابه (رمزي) ، وهو يشترك مع (نور) ، في إبعاد قبضته :

— إنه رد فعل غريزي ، لمقاتل هارب ، يختفى وسط الأطلال وحيداً ، منذ سنوات .

غمغم (هاشم) ، دون أن يقاوم :

— هذا صحيح .

حدقَ (أكرم) فيه بضع لحظات بلا اقتناع ، حتى قالت (نشوى)

في خفوت :

— لا بأس .. اتركه .

وأضافت (سلوى) في توتر شديد :

— اتركه يا (أكرم) .. أرجوك .

أطلق (أكرم) زفرة عصبية طويلة ، قبل أن يقول :

— لا بأس .. مادمتم تصرون .

أفلت الرجل ، وابتعد عنه في عصبية ، فابتسم (هاشم) مرة أخرى ، واعتدل جالساً ، وهو يقول :

— تمامًا كما قرأت عنك ، في كتب التاريخ .

قال (أكرم) في عصبية ، دون أن يلتفت إليه :

— لست مسناً إلى هذا الحد .

واصل (هاشم) وهو ينهض ، متجاهلاً تعليق (أكرم) تمامًا :

— قوى ، وكريم ، وعنيف ، وعطوف .. تملك أخلاقاً شديدة التحضر ، ولكنك تعبر عنها بأسلوب شديد البدائية .

تجاهله (أكرم) تمامًا هذه المرة ، حتى أضاف في إعجاب واضح :

— لقد كنت ملهمي ، في السنوات التي قضيتها بين الأطلال .

قال (نور) في حزم ، وهو يربّت على كتف (هاشم) :

— سيد (هاشم) .. من الواضح أنك شخص مثقف ، بالنسبة
لأبناء هذا العصر .

قالت (نشوى) فى اهتمام :

— ولديك دراية علمية كبيرة أيضاً ، بدليل ذلك السلاح الذى
صنعته ، وأسقطت به هذه الدودة العملاقة .

ألقي (هاشم) نظرة على الدودة الآلية ، قبل أن يعتدل نحو
(نور) ، قائلاً :

— ما زلت هناك واحدة .

سألته (سلوى) فى قلق :

— أهم ثلاث؟!

هزّ كتفيه ، قائلاً :

— هذا ما أحصيته من قبل .

أشار (نور) إلى (رمزى) أن يتابع الحديث ، وهو يقول

— (هاشم) :

— قالت : إنك تحاول الفرار منذ ثلاث سنوات ، بالنسبة لرجل
مثلك ، لا بد أنك قد اكتسبت خبرة كبيرة ، فى هذا المضمار .

هزّ (هاشم) رأسه ، قائلاً :

— هذا صحيح .

صمت لحظة ، وكأنه سيكتفى بهذا القدر ، إلا أنه لم يلبث أن
أضاف :

— ومع محاولتى العديدة ، اكتسبت خبرة واحدة مؤكدة .

سأله (نور) فى هدوء :

— وماهى؟!

مال نحوه بشدة ، مجيباً فى حزم :

— إن اختراق ذلك الحاجز مستحيل .

بدا من الواضح أن (نور) كان يتوقع هذه العبارة ، فقد ظلت
ملامحه حادة حازمة ، وظل ساعده معقودين أمام صدره ، وهو
يقول :

— بالنسبة إليك .

حملت كلمات (هاشم) بعض العصبية ، وهو يقول :

— اسمع يا هذا .. ربما يعتبرك أهل
تاريخك يقول : إنك مجرد رجل بلع ، ولم
الأرض من الكارثة ، ولو أنك تتصور أنك أبرح منى ، فأنت ...

قاطعته (رمزي) ، محاولاً تهدئته :

— (نور) يقصد أننا فريق علمي ، والأمور بالنسبة لنا تختلف .

أشار (هاشم) بسببأته ، وهو يقول في عصبية :

— إنكم لم تخرتقوا ذلك الحاجز بعد .

قال (نور) في حزم :

— ربما لهذا نحتاج إليك .

قال (هاشم) ، في استهتار عصبى مفتعل :

— ولماذا؟! ..! أستم الأسطورة؟!!

كان (نور) يتخذ وقفته الحازمة الجامدة ، حتى هذه اللحظة ، ولكنه فاجأ الجميع باندفاعه مباغتة نحو (هاشم) ، جذبته خلالها من بقايا سترته القديمة ، وهو يقول في صرامة :

— اسمع يا هذا .. أما زلت تسعى للفرار ، أم إن اليأس قد حوِّلك

إلى فأر مذعور ، كل ما يسعى إليه هو الاختباء من أنياب القط؟!!

انتفض (هاشم) محاولاً تخليص نفسه ، وهو يقول في عصبية :

— لم أتوقَّف عن المحاولة لحظة واحدة .

اخترق (نور) عينيه ببصره ، وهو يقول ، في صرامة أشد :
— فلنتعاون معاً إذن .

جذب (هاشم) سترته القديمة من يد (نور) ، وحاول تعديل ثيابه شبه المهترئة ، وهو يقول في عصبية :

— وماذا يمكنكم أن تضيفوا؟! .. كل ما أراكم تحملونه ، كومة من الآلات الرقمية القديمة ، في مواجهة حاجز ، هو تحفة تكنولوجية حقيرة .

قالت (نشوى) في ثقة :

— لا تقلق من هذا ، سنحصل على أدوات أحدث .

سألها في حدة :

— من أين؟! ..!

أشارت (سلوى) إلى الدودة العملاقة ، مجيبة :

— من هذه .

ولم يفهم الرجل ما تعنيه ..

ولم يكن بإمكانه أن يفهم ..

مطلقاً ..

التفّ ذلك الفريق حول المنزل الآمن ، أو الذى كان من المفترض أنه آمن ، وحاصره حصاراً كاملاً ، ليحيطه إحاطة السوار بالمعصم ، وهمس أحد الرجال إلى قائد الفريق :

— يفترض أنهم هنا .. أليس كذلك !؟

أجابته قائد الفريق ، فى حزم واقتصاب :

— إنهم هنا .

سأله متوتراً :

— وما الذى علينا أن نفعله !؟

التفت إليه القائد ، بنظرة شديدة الصرامة ، وهو يقول :

— تنفذ الأوامر .

ارتبك الرجل بشدة ، وبدأ يبتعد فى سرعة ، وهو يقول مضطرباً :

— أعلم هذا يا سيدي .. كنت فقط أتصور أن هناك المزيد .

قلب قائد الفريق شفثيه فى ازدراء ، وهو يتابعه ببصره ، ثم لم يلبث أن انشغل عنه بتوجيه إشارة إلى باقى الفريق ، فتحرك الرجال فى حذر ، حتى صاروا قيد خطوات من المكان ، و ...

وانقضوا فجأة ..

وكانت انقضاضة احترافية بحق ..

لقد انقسموا ، لحظة الهجوم ، إلى ثلاث فرق ..

فرقة انقضت على باب المكان ..

وثانية على نافذته الوحيدة ..

والثالثة اتخذت مواقعها ، تحسباً لأية مفاجآت ..

وعندما اقتحموا المكان ، كانوا يتوقعون أن تنتهى العملية فى دقيقة واحدة على الأكثر ..

ولكن ، كانت فى انتظارهم مفاجأة ..

مفاجأة قوية ..

للغاية .

4 - المفاجأة ..

توتر عنيف ، ذلك الذى سرى فى جسد الدكتور (راشد) ، وهو يراقب آلات التصوير الرقمية السرية ، التى يحفظ أماكنها عن ظهر قلب ، والتى تراقب ذلك المعمل الخاص ، الذى لا يدخله إلا القائد الأعلى وحده ، منذ أكثر من خمسة أعوام . لقد تساءل لفترة طويلة ، عن سر ؛ إغلاق هذا المعمل بالتحديد ، وإحاطته بكل تلك السرية ، ووسائل الأمن شديدة التعقيد !!!

المفترض أنه رئيس أطقم العلماء ، العاملة فى الحصن ، والتى تعد أبرع عقول فى هذا العصر ، وعلى الرغم من هذا ، فلا هو ، ولا أى من العلماء ، مصرح لهم بدخول هذا المكان ، الذى يحمل لافتة معمل ..

فما الذى يمكن أن يحويه هذا المعمل ؟! ..

أى سر يخفيه ؟! ..

بل أى غموض ؟! ..

توقّف لحظات ، بكل التوتر فى أعماقه ، يتطلّع إلى المعمل ، الذى لن يمكنه حتى بلوغ بابيه ، دون أن ينكشف أمره ، وعاد يتساءل : ماذا لو أنه ليس معملًا فعليًا ؟! ..

ماذا لو أن هذا الباب يخفى شيئًا آخر ؟! ..

شيئًا لا ينبغى لأحد معرفته ، سوى القائد الأعلى ..

أو من يعلوه ..

وهنا يكمن سؤال آخر ..

سؤال طرح نفسه لسنوات ، قبل أن يسجنه الجميع فى أعماقهم ، ويحبسونه خلف ألسنتهم ، ويخشون حتى مجرد الإفصاح عنه ..

من يعلو القائد الأعلى ؟! ..

من يحكم البلاد فعليًا ؟!

من ؟! ..

لا أحد يعلم ..

ولا أحد يدرى ..

ولا أحد حتى يسأل ..

فقط القائد الأعلى من يرون ..

ويعرفون ..

ويواجهون ..

فهل هو من يحكم البلاد فعليًا ؟! ..

ولو أنه كذلك ، فمن يتقيه بالأوامر ، التى يوزع دومًا أنه يتلقاها ؟! ..

من ؟! ..

كان يراقب المكان ، حتى تنأى إلى مسامعه فجأة صوت خطوات تقترب ، فخنق قلبه فى عنف ، وحبس أنفاسه فى شدة ، وهو يتراجع ، ويختبئ فى ركن مظلم ، أخفاه عن الأنظار ..

وراحت تلك الخطوات تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

ثم مرَّ به جسد يعرفه جيداً ..

جسد القائد الأعلى ..

مرَّ به ، وتجاوزته دون أن يشعر به ، واتجه نحو ذلك المعمل مباشرة ..

ولهت الدكتور (راشد) فى أعرق أعماقه ..

القائد الأعلى يتجه نحو ذلك المعمل ، ولديه فرصة واحدة لرؤية ما بداخله ، عندما يفتح القائد بابَه ..

فرصة ، قد لا تتكرر أبداً ، لاختلاس نظرة واحدة إلى داخل المعمل ..

نظرة ، قد تمنحه فكرة واضحة عما يوجد هناك ..

أو عما يدور هناك ..

نظرة هى فرصة ، لا ينبغي كعالم أن يضيعها أبداً ..

مهما كان الثمن ..

وبمنتهى الحذر ، مال الدكتور (راشد) برأسه ، وحاول أن يشاهد ما سيفعله القائد الأعلى ، عند المعمل الغامض ..

ومن منظوره ، وزاوية رؤيته ، توقَّف القائد الأعلى أمام ذلك المعمل ..

لم يتوقَّف أمام بابَه ، وإنما أمام جداره ..

وبحركة هادئة ، مرر يده على جزء من ذلك الجدار ، ثم تراجع خطوتين ، واتخذ وقفة عسكرية صارمة ..

ولدهشة الدكتور (راشد) ، اتبع ضوء عجيب ، من عدة أماكن خفية بالجدار ، وراح يدور حول القائد الأعلى ، الذى ظلَّ على وقفته العسكرية الصارمة ، متجاهلاً ما يحدث تماماً ..

ولثوانٍ ، ظلت تلك الأضواء العجيبة تجوس جسد القائد الأعلى ووجهه ، قبل أن تحدث فجأة ظاهرة عجيبة ..

ظاهرة انتفض معها الدكتور (راشد) فى عطف

انتفض لأن ما رآه أمامه كعالم ، يخالف كل ما تعلمه ورسده في حياته ..

بل يخالف كل القواعد الفيزيائية المعروفة ، منذ بدء الخليقة ..

في عالمنا على الأقل ..

لقد انفصلت تلك الأضواء العجيبة عن الجدار ، وراحت تدور حول جسد القائد الأعلى ، كما لو أنها ثعابين ضوئية ..

ثم راح ضوؤها يخبو ..

ويخبو ..

ويخبو ..

حتى اختفى تماماً ..

وعندئذ ... عندئذ فقط ، تألق جزء مستطيل من الجدار ، ثم

اختفى تماماً ..

ولأول مرة في حياته ، شاهد الدكتور (راشد) ما وراء الجدار ..

وماذا داخل ذلك المعمل الغامض ..

وكمن أصابه مس كهربى عنيف ، انتفض جسد الدكتور (راشد)

بمنتهى القوة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، على نحو لم يحدث

في عمره كله من قبل ..

فما رآه هناك ، خلف ذلك الجدار ، كان مذهلاً ..

وبكل المقاييس ..

بل كان مفاجأة ..

مفاجأة عنيفة ..

قاسية ..

رهيبة ..

بلا حدود ..

في دهشة حقيقية ، جلس (هاشم) فوق صخرة كبيرة ، يراقب

ما تفعله (سلوى) و(نشوى) ، وما يعده (نور) و(رمزي)

ووضع قوسه على ساقيه ، وجعبة الأسهم إلى جواره ، وجاء

(أكرم) ، فانضم إليه وناوله زميمته ، قائلاً :

— ألم تشعر بالعطش بعد !؟

هزاً (هاشم) رأسه نفياً ، دون أن يجيب ، فتناول (أكرم)

جرعة ماء ، وراقب رفاقه بدوره ، وهو يقول :

— أنا أيضاً لا أستطيع استيعاب ما يفعلونه .

ابتسم (هاشم) ابتسامة خفيفة ، وهو يقول :

— أعلم هذا .

التفت إليه (أكرم) ، فى دهشة متسائلة ، فتابع فى هدوء :

— هذا ما ذكره عنك التاريخ .

قال (أكرم) فى ضيق :

— إشارتك المستمرة للتاريخ ، تجعلنى أشعر كأننى مومياء قديمة ، اتبعثت فى عصر حديث .

أجابته (هاشم) ، دون أن يلتفت إليه :

— إنك كذلك .

التفت إليه (أكرم) بحركة حادة غاضبة ، ولكنه تابع ، وكأنه لم يلمح هذا :

— كلكم كذلك .. لقد بعثتم مرة أخرى ، فى زمن لا تنتمون إليه على الإطلاق .

قال (أكرم) فى صرامة :

— ولكننا نتعايش معه .

ابتسم (هاشم) ، فى شيء من السخرية ، قائلاً :

— تحاولون هذا..

تفجّر غضب كبير فى نفس (أكرم) ، فأمسكه من ذراعه فى قوة ، وهو يقول :

— اسمع يا هذا لو أنك لا تؤمن بفريقنا ، ولا تحترم وجودنا ، فلماذا تبقى معنا !؟

ظهر (نور) فى هذه اللحظة ، وهو يقول :

— رويدكما .. دعونا ندخر كل طاقتنا ، فى مواجهة ذلك الحاجز العجيب ، ولا نضيعها فى خلافات ومشاجرات خفية ..

قال (أكرم) فى عصبية :

— دعه يطبق شفتيه على أسنانه إذن ، لو أنه يرغب فى الاحتفاظ بها .

التفت إليه (هاشم) فى تحدّ ، قائلاً :

— عظيم .. دعنى أرى كيف ستفقدنى إياها ، فلن أطبق شفتى أبداً .

وعلى عكس المتوقع ، ابتسم (نور) ، وجلس إلى جوارهما ، قائلاً :

— هل تعلمان ما مشكلتكما !؟

التفتا إليه معاً بنظرة متسائلة ، ملؤها التوتر ، فأردف :

— أنكما متشابهان .

قال (أكرم) فى عصبية :

— أليس المفترض أن يجعلنا هذا أكثر تفهّمًا!؟

اقترب (رمزي) ، وهو يشير إليه بيده ، قائلاً :

— هذا يعتمد علي طبيعتكما الشخصية الأساسية ، فالمشكلة الفعلية أن كليكما يتمتع بروح زعامة ، تجعله غير قابل لطاعة الأوامر ، وروح التحدي داخلكما عالية ، ضاعف منها عمر التعايش مع مخاطر الأطلال لفترة طويلة ، وما يحدث الآن هو أن كلا منكما يسعى لإثبات أنه الأفضل .

ابتسم (هاشم) في سخرية ، في حين قال (أكرم) ، بعصبية التقليدية :

— ألم يقل إنني مثله الأعلى!؟

قال (هاشم) في برود مستفز :

— تاريخياً ، وليس على أرض الواقع .

بدا من الواضح أن (أكرم) سيشارك معه في نقاش حاد ، ولكن (نور) استوقفهما في صرامة ، قائلاً :

— (سلوى) و (نشوى) حصلتا على أدوات مناسبة .

عبارته كانت كافية ، لجذب انتباههما معاً ، فأكمل في حزم :

— وعلينا أن نتوجه الآن إلى ذلك الحاجز .

قال (هاشم) ، وهو ينهض في حزم :

— (كوباء) يا رجل .. اسمه (كوباء) .

انعقد حاجبا (نور) في شدة ، في حين سألته (رمزي) في اهتمام :

— وكم يبعد (كوباء) هذا عنا!؟

أدار (هاشم) بصره إلى الغرب ، وقال :

— مسيرة نصف يوم ، لو أننا لم نتوقّف .

تطلّع (نور) إلى حيث أشار ، وقال :

— والشمس توشك على المغيب ، مما يعني أننا سنقطع مسافة قليلة ، قبل أن نضطر للتوقّف .

قالت (سلوى) في إرهاق :

— أو نصكر هنا ، ونبدأ حركتنا مع أول ضوء ، من صباح الغد .

جلست (نشوى) لاهثة ، على حجر قريب ، وقالت :

— إنني أؤيد هذا الاقتراح .

اكتفى (رمزي) بهز كتفيه ، دون تعليق ، وفار (نور) عينيه

إلى (أكرم) ، الذي تباذل نظرة مع (هاشم) ، فابتسم ، ثم أشار إلى حزم :

— وأنا أرفضه بشدة .

أطلت دهشة متوترة ، من عيون (سلوى) و(نشوى) ، ولكنه تابع بنفس الحزم ، مضيفاً إليه شيئاً من الصرامة :

— لقد أسقطنا دويتين عملاقتين آليتين هنا ، ومن حسن حظنا أنه لم يأت أحد للبحث عنهما بعد ، ولكن البقاء هنا بمثابة النوم في مسرح الجريمة ، انتظاراً لوصول الشرطة .

غمغم (نور) مبتسماً :

— هذا صحيح .

فأضاف (هاشم) ، في حزم هادئ :

— والقاعدة الأولى ، للعيش وسط الأطلال ، هو ألا تبقى أبداً في مكان ، يمكن أن يدركه العدو ؛ فالريسة ينبغي ألا تتوقف عن مناورة الصياد مطلقاً .

قالت (نشوى) في توتر :

— هذا يعني أننا الفريسة .

علق (هاشم) جعبته على كتفه ، وحمل قوسه ، و(أكرم)

يقول :

— بالتأكيد .

نهضت (سلوى) في صعوبة ، وعاونت (نشوى) على النهوض ، في حين قال (رمزي) في حزم ، وهو يتجه نحو الآلات الرقمية ، التي استخرجوها من الدودة العملاقة :

— الرجال سيحملون الآلات .

قال (هاشم) في لا مبالاة :

— لن أحمل شيئاً .

أشار إليه (نور) ، قائلاً في صرامة :

— ستحملها .

تردد (هاشم) لحظة في عصبية ، فربت (أكرم) على كتفه ، قائلاً :

— كلنا سنحملها .

تحرك (هاشم) بالفعل نحو الآلات ، مع (أكرم) و(رمزي) ، وعندما اتحنى ليلتقط إحداهما ، باغته (نور) ، قائلاً في صرامة :

— من أين قررت يا (هاشم) ؟! .. ومن كنت تفكر ؟!

كان يمكن أن يبدو السؤال عادياً ، لولا رد فعل (هاشم) .

لقد تسمّر في مكانه تماماً ، وتجمّد لحظة ، كما لو أنه قد تحوّل إلى تمثال من الرخام البارد ، ثم لم يلبث أن عاود الحركة ، وهو يقول متحاشياً النظر إلى (نور) :

— من كل شيء .

سؤال (نور) التالي ، بدا صارماً أكثر :

— من بالتحديد !؟

وفي هذه المرة ، لم يكن هناك مفر ..

لقد نهض (هاشم) ، دون أن يحمل تلك الآلة ، واستدار في بطء يواجه (نور) ، وهو يقول :

— إلى ماذا تسعى بالضبط ، أيها المقدم (نور) !؟

شدّ (نور) قامته في تحدّ ، واكتسب صوته صرامة أكثر وأكثر ، وهو يقول :

— اعتراف ؟

ولأول مرة ، بدا (هاشم) عصبياً ، وهو يقول :

— اعتراف بماذا !؟

كانت العيون كلها متّجهة نحوه ، والتساؤل يطل منها جميعاً ، ممتزجاً بشيء من الدهشة والتوتر ، ولكن (نور) قال في حزم :

— بأنك من رجال الحصن .

كان سؤال (نور) مفاجئاً للجميع ، واتسعت معه عيونهم جميعاً ، إلا أن هذا لم يقارن بما أصابهم ، عندما قال (هاشم) في حزم ، بعد لحظة من الصمت :

— هذا صحيح .

وكانت مفاجأة ..

أكبر مفاجأة ..

شدّ الذئب قامته ، وعقد ساعديه خلف ظهره ، على نحو جعله أشبه بزعيم نازي قديم*) ، وهو يواجه (مشيرة) صامتاً ، فشعرت هذه الأخيرة بتوتر شديد ، يسرى في كيانها كله ، وهي تقول في عصبية :

— هيا .. أخبرني لماذا !؟

(*) النازية : اختصار لعبارة ألمانية ، تعنى (العنصرية المحلية) أو (الزهو العنصرى العرقى) ، ولقد بدأت بين الشباب الألمانى ، كتطوير للفاشية ، على الجانبين اليميني واليسارى من السياسة ، ولكنها تحوّلت إلى أسلوب حكم ، من عام 1933م ، مع تولى (هتلر) السلطة ، حتى عام 1945م . عندما سقطت (ألمانيا) النازية ، عقب الحرب العالمية الثانية .

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يسألها في برود :

— لماذا ماذا؟! ..

قالت في عصبية أكثر :

— لماذا أحضرتني إلى هنا؟! ..

ابتسم دون أن يجيب ، وتحرك في المكان في ببطء نسبي ، قبل أن يتوقف ، مولياً إياها ظهره ، ويقول في صرامة :

— يمكنك القول بأنك وثيقة تأميني .

لم تفهم ما يعنيه ..

أو لم يمكنها استيعابه ، على الرغم من تاريخها الطويل كصحفية لامعة ..

لم تفهم ، حتى إنها حدثت فيه لحظات ، وهو مازال يوليها ظهره ، ثم قالت في عصبية ، امتزجت بالخوف هذه المرة :

— ما الذي يعنيه هذا بالضبط؟! ..

قال في صرامة شديدة :

— الكثير .

ثم التفت إليها بحركة حادة مباغثة ، جعلتها تنتفض في عنف ، وهو يقول ، في لهجة أشبه بالصراخ :

— والكثير جداً أيضاً .

تراجعت (مشيرة) في ذعر ، حتى حال الجدار بينها وبين الاستمرار ، فالتصقت به في شدة ، واتسعت عينها عن آخرها ، حتى كادت تفرغ ما بجوفها ، مع أنفاسه شبه اللائحة ، وهو يقول في صرامة ، حملت الكثير من العصبية :

— ماذا لو أنهم عادوا ، من رحلتهم المميتة هذه ، وقرروا إزلاتني عن طريقهم؟! .. ماذا؟! ..

تلاحقت أنفاسها ، وهي تقول :

— لو أن هذا لصالح (مصر) ، فمن الـ ...

قاطعها بصرخة هادرة :

— هراء .

صرخة جعلتها تلتصق بالجدار أكثر ، وتتمنى لو أنه استطاع ابتلاعها داخله ، وإنقاذها من ذلك الرجل ، الذي لم يبد أبداً أشبه بذنب حقيقي مقترس ، مثلما بدا في هذه اللحظة ..

وفي قوة ، انتفض جسدها كله ، وهو يتراجع بحركة عنيفة ، قائلاً ؛ وجسده أيضاً ينتفض ، من فرط الانفعال :

— لا تخبريني بهذا الهراء ، الذي تسيطر به على العامة والدماء .. لا تستخدمى معى اللعبة نفسها التي تستخدمها معهم .

امتنع وجهها ، وهى تقول :

— أهذا ما ترى الأمر به ..؟! هراء ولعبة ..؟! :

عاد يميل نحوها ، على نحو شديد الحدة ، وهو يقول :

— لا تحاولى العبث يا امرأة .. أنت تعلمين مثلى أنها ، أولاً وأخيراً لعبة سيطرة .. قوة .. سلطان .. اللعبة كلها تدور حول من يحتل القمة .. من يجلس على العرش .

والتمعت عيناه على نحو عجيب ، وهو يضيف :

— من يضم قبضته على الجميع ، ويملك أن يعتصرهم وقتما يشاء ، أو يفلتهم كيفما يشاء .. السلطة يا ملكة الإعلاميين .. السلطة .. نفس ما قاتلت أنت من أجله ، عندما كنت رئيساً لأبناء الفيديو .

قالت غاضبة ، على الرغم من ارتجافة صوتها :

— لست السلطة ما كنت أسعى إليه يا رجل .. بل التفوق .

انطلقت من حلقه فجأة ضحكة ساخرة عالية مجلجلة ، قبل أن

يقول ، فى لهجة أقرب إلى الجنون :

— ألم أقل لك أنك تعبتين ..؟! ما الفارق أيتها العبقرية ، بين

التفوق والسلطة ..؟! التفوق هو المصطلح الأثيق ، الذى يستخدمه

المثقفون ، لإخفاء نزعتهم إلى السلطة .. التفوق يعنى أيضاً التواجد على القمة .. نفس اللعبة ، ولكن بمسميات مختلفة .

غلب غضبها خوفاً ، وهى تقول :

— خطأ أيها المدعى .. التفوق أمر فردى ، فلو أنك تفوقت على أقرانك ، فستصبح على قمتهم ، ولكنك أبداً لن تملك أية سلطة ، أو قدرة على السيطرة عليهم ، ولن تحاول حتى هذا ؛ لأسباب لن يمكنك استيعابها قط .

أطلق ضحكة ساخرة عصبية ، وتراجع مبتعداً عنها ، ولكنها تابعت فى غضب :

— فالشخص الذى يسعى للتفوق ، يؤمن حتماً ، كجزء من تكوينه البحرية ، وهذا يتعارض تماماً مع السيطرة والسطوة وكل ما تتحدث عنه .. هذا لأن الإيمان بالحرية يعنى إيمانك بحرية الآخرين ، تماماً كإيمانك بحريتك .

هز رأسه فى عصبية ، وقال :

— محاضرة عبثية أخرى .

وعاد يستدير إليها ، قائلاً فى شراسة :

— ولن أستمع حتى إليها .

قلبت شفيتها في امتعاض ، قاتلة :

— وهل تتصور أنني أهتم بسماكك إياها !؟

صمت لحظات ، وهو يرمقها بنظرة شرسة ، قبل أن يقول :

— كلاً .

ابتعد عنها ، واتجه نحو مقعده ، وجلس عليه في عظمة ،

كما لو أنه يملك العالم ، ثم قال :

— زوجك ارتكب أكبر خطأ في حياته ، عندما تركك خلفه هنا .

قالت في مقت :

— لست أظن زوجي من يرتكب الأخطاء هنا .

ابتسم في سخرية عصبية ، وتجاهل قوتها تمامًا ، وهو

بضيف :

— وإن كنت أجهل حتى لماذا يوليكَ اهتمامًا .

بدا التوتر في ملامحها ، وحاولت الإشاحة بوجهها ، وكأما

تحاول إخفاء علامات العمر ، المحفورة عليه ، إلا أنه تابع في

قسوة :

— إنه ، عمليًا ، يصغرك الآن ، بربع قرن على الأقل .

أصابتها عبارته في الصميم ، واعتصرت قلبها في عنف ، وحاولت أن تكتم دموعها في أعماقها ، حفاظًا على كرامتها ، إلا أنها عجزت عن هذا ، فسالت الدموع مرغمة على وجنتيها ، مما أورثه شعورًا بالظفر ، جعله يتابع في قسوة :

— متى نظرت إلى وجهك في المرأة آخر مرة !؟

تفجرت دموعها أكثر ، واختنق صوتها ، وهي تهتف غاضبة ، وإن عجزت عن كتمان تلك المرارة ، التي تفجرت كالبركان في أعماقها :

— (أكرم) يحبنى .

قال الذئب في سرعة :

— إلى متى !؟

كانت ترغب في إخفاء دموعها عنه بقدر الإمكان ، إلا أن سؤاله الأخير جعلها تلتفت إليه بحركة حادة ، فتابع ، وعلى شفيتها ابتسامة ذئب وحشي حقيقي :

— إنه يحيا الآن ثورة عاطفية ، ستغمر كيانه كله لعام أو يزيد على الأكثر ، ثم لن يلبث أن ينتبه إلى أنه قد ربط حياته بعجز شمطاء ، تتغضن ملامحها أكثر كل يوم ويستهو نفسه إلى صبية حسناء ، تتناسب مع رجولته وغفواته

تمتعت بدموعها تنهمر في غزارة شديدة ، والمرارة تفوح من كل حرف من حروف كلماتها :

— هذا ليس (أكرم) .

التمعت عيناه في ظفر ، وهو يقول :

— إنه رجل .

شهقت بدموعها ، وهي تصرخ فيه :

— أنت حقير .

نهض في صرامة ، قائلاً :

— وواقعي .

شهقت بدموعها أكثر وأكثر ، وراحت تنتحب على نحو عنيف ، فالتقط هو نفساً عميقاً في ظفر ، واتجه إليها مباشرة ، وأخرج زجاجة صغيرة من يده ، وهو يضيف :

— ولديّ الحل أيضاً .

على الرغم منها ، أدارت بصرها إلى تلك الزجاجة التي يحملها ، ثم رفعت عينيها إليه في تساؤل متوتر ، جعله يستترد :

— كما سترين بنفسك .

عاد إلى منضدته ، وأخرج من تحتها قفصاً صغيراً ، من أقفاص الطيور ، كمنت داخله هرة كبيرة خائفة ، أشار إليها ، قائلاً :

— هل ترين كم يبلغ حجمها؟! .. بكم تقدرين عمرها يا سيّدة (مشيرة)!؟

لم تجب (مشيرة) ، وهي تنظر إليه في توتر ، فأكمل ، وكأنه لم يكن ينتظر جواباً منها :

— عمرها يبلغ عشر سنوات ، وبمقاييس أعمار الهرة ، وهي هرة عجوز .

وعاد يميل نحوها ، مردفاً بأسلوب بغيض :

— مثلك يا سيّدة (مشيرة) .

قالت في عصبية ، محاولة إخفاء خوفها :

— ماذا أصابك؟! .. هل أصبحت مهذباً فجأة .. كنت منذ قليل تنادينى يا امرأة!؟

تجاهل عبارتها تماماً ، وهو يكمل ، ملوحاً بالزجاجة الصغيرة :

— ترى ماذا يمكن أن يحدث ، إذا ما وضعنا في فمها قطرة أو قطرتين ، من هذا السائل .

ولم تجب (مشيرة) ..

ولكن قلبها خفق فى قوة ..

أمن الممكن أن يعنى ما فهمته؟! ..

هل يمكن أن يكون الحلم حقيقة ، إلى هذا الحد؟! ..

هل؟! ..

فتح الذنب الزجاجية بالفعل ، ثم أسقط قطرة منها على فم الهرة ،
التي لعقتها فى لهفة ، توحى بأنها شديدة العطش والظما ..

ولكن شيئاً لم يحدث ..

لقد لعقت الهرة قطرة السائل ، ثم استكأت على أرضية القفص ،
وتطلعت إليه فى لهفة ، وكأنها تشد المزيد ، فرفع عينيه إلى
(مشيرة) ، قائلاً :

— تابعى جيداً .

وعلى الرغم من خفقات قلبها العنيفة ، حدقت (مشيرة) فى
تلك الهرة فى لهفة .

حدقت ..

وتابعت ..

وتلهفت ..

وتطلعت ..

وامتلأت نفسها بالأمل ..

ولكن شيئاً أيضاً لم يحدث ..

لقد ظلت الهرة ساكنة ، متلهفة على قطرة أخرى ، تتطلع إلى
الذنب فى ضراعة عجيبة ، و ...

وفجأة ، حدثت تلك الانتفاضة ..

انتفض جسد الهرة فى عنف ..

وانتفض معه جسد (مشيرة) ، على نحو أعنف ..

ففى المكان كله ، دوت صرخة الهرة المسكينة ..

وفى عنف ، تلوى جسدها ..

ولكن ما حدث بعدها ، كان حقاً مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

بشدة ..

Looloo

www.dvd4arab.com

5- عين الظلام ..

ظلام شبه تام ، ذلك الذى أحاط بابن (نور) وحفيديه ، وهم يسرون مع الذب ، عبر ذلك الممر الطويل ..

لم يكن أحدهم ، باستثناء الأخير ، يعلم إلى أين يقودهم هذا !..

وعلى الرغم من هذا ، لم ينطق أحدهم بحرف واحد ، لما يقرب من نصف ساعة كاملة ، قبل أن يتساءل (طارق) فى صرامة :

— إلى أين المفترض أن يقودنا هذا !؟

أجابه الذب ، بصوته الغليظ ، ولهجته الصارمة :

— إلى منطقة آمنة .

عاد (طارق) يسأله :

— أين بالتحديد !؟

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يقول الذب :

— مقر سرى ، مخفى بدقّة وسط الأطلال القديمة ، على قيد

أمتار قليلة من مقر الذنب .. مقر لا يعرفه سوانا .. هو وأنا ..

كنا ندخره كمخبأ لنا ، إذا ما تعقدت الأمور .

غمغم (طارق) الصغير فى صرامة :

— كنتم تنوون الفرار من السفينة ، إذا ما أوشكت على الغرق ، وترك ركابها على سطحها وحدهم بلا قيادة !؟

بدا صوت الذب عصبياً ، وهو يقول :

— بل كنا نضمن لهم استمرار القيادة ؛ حتى لا ينفرد عقدهم .

قال (محمود) الصغير فى حدة :

— بهذه الوسيلة !؟ ..

قبل أن يجيبه الذب ، قال (طارق) فى حزم :

— إنها وسيلة مشروعة .

هتف (طارق) و (محمود) الصغيران ، فى استنكار واحد :

— كيف !؟

أجابهما بنفس الحزم :

— إنها خطة قديمة ، تعتمد عليها كل الحكومات ، منذ قرون

عديدة ، وتعد واحدة من أكثر الخطط الأمنية سرية ، بالنسبة لأي

نظام حكم ، وهى تعتمد على وجود مخبأ خفى ، لا يعرف موقعه

إلا قلة نادرة ، ممن يثق بهم النظام ثقة مطلقة ، وقور حدوث

أية كارثة ، أو أى هجوم مباشر على البلاد ؛ يخفف الرئيس ،

مع الحكومة كلها ، فى ذلك المخبأ ، المجهز بحيث يمكنهم منه

إدارة شئون البلاد ، وقيادة الجيوش ، وضمان استمرار سير كل الأمور ، دون أن يكشف العدو أمرهم ، أو تبلغهم الكارثة*).

غمغم (محمود) الصغير فى توتر :

— هل يضخى الذئب بسر كهذا من أجلنا ؟!

قال الذئب ، مزجراً فى خشونة :

— من الواضح أنكم شديدو الأهمية ، بالنسبة له .

قال (طارق) الصغير فى شك :

— إلى هذا الحد ؟!

أجابه الذئب فى صرامة ، مكرراً العبارة نفسها بأسلوب مختلف :

— إلى هذا الحد .

ران عليهم الصمت لحظات بعدها ، وهم يواصلون سيرهم ، متمسكين الجدار ، وسط ذلك الظلام الدامس المخيف ، قبل أن يقطع (طارق) ذلك الصمت ، وهو يسأل :

— من يحاولون القضاء علينا أيها الذئب ؟!

صمت الذئب طويلاً هذه المرة ، قبل أن يجيب ، فى عصبية مملوسة :

(*) حقيقة .

— من يرون أن وجودكم يمثل خطراً على وجودهم .

سأله (طارق) فى إصرار :

— مثل من ؟!

لاذ الذئب بالصمت لفترة أطول هذه المرة ، قبل أن يجيب ، وقد تضاعفت عصبية :

— الطامعون إلى الزعامة .

عاد (طارق) يسأل ، فى إصرار أكثر :

— من بالتحديد ؟!

اندفع الذئب يقول فى حدة مباغته :

— أنتم لا تعلمون الكثير مما يحدث هنا ، وإجابة سؤالك هذا يحتاج إلى شرح طويل مسبق .

قال (طارق) ، فى برود صارم :

— لدينا كل ما نحتاج من وقت .

توقف الذئب فجأة ، وهو يقول فى صرامة :

— هذا ما تتصوره .

فذلك الصوت ، الذى تناهى إلى مسامعهم كان مخيفاً ..

مخيفاً للغاية ..

لم يتوقَّف جسد الدكتور (راشد) عن الانقباض لحظة واحدة ، منذ عاد من تلك المنطقة ، حيث المعمل الغامض المحظور ..

فما رآه يحدث هناك ، كان بالنسبة إليه مذهلاً ..

مخيفاً ..

مرعباً ..

وإلى أقصى حد ..

ولقد حاول أن يتشبَّث بحواف مكتبه ؛ فى محاولة لمنع جسده من الارتجاج ، وهو يسترجع تلك اللحظات الرهيبة ..

لقد شاهد ذلك الجدار يختفى ..

وشاهد ما خلفه ..

انقبض جسده مرة أخرى ، وهو يسترجع المشهد الرهيب

و ...

صمت لحظة ، ثم أضاف ، فى شىء من الحدة :

— لقد أوشكنا على الوصول .

قال (طارق) صارماً :

— وهل ستجيب سؤالى عندئذ !؟

طال صمت الدُّب هذه المرة ، أكثر مما ينبغى ، فكررَ (طارق)

فى صرمة أكثر :

— هل !؟

قال الدُّب فى اقتضاب شديد الخشونة :

— اصمت .

أخفى الظلام تلك الدهشة ، التى ارتسمت على وجوه ثلاثتهم ،

قبل أن يضيف الدُّب فى عصبية :

— وأنصت .

حبس الجميع أنفاسهم ، وسط ذلك الظلام الدامس ، وأرهفوا

أسماعهم ، وهم ينصتون فى توتر ..

ثم اتسعت عيونهم عن آخرها ..

وخفقت قلوبهم فى عنف ..

هزَّ العالم رأسه نفيًا ، وقال :

— بل اهتزازات .

اتعقد حاجبا الدكتور (راشد) ، وهو يردد :

— اهتزازت ؟!

قال العالم فى سرعة :

— اهتزازات لا تتفق مع أى شىء رصدناه من قبل .. إنها ليست

إرهاصات زلازل ، ولا حتى تحركات تحت أرضية ، أو حتى فوق

أرضية ، وشاشات الرصد كلها لا ترصد شيئاً يقترب أو يبتعد ،

وأجهزة الفحص الحرارى تشير كلها إلى السلب واتجاه الترددات

نفسه غير مألوف .

سأله متوتراً :

— ماذا تعنى ؟!

راح الرجل يشير بيديه ، وهو يجيب :

— إنها لا تسير فى اتجاه أفقى ، بل على نحو رأسى تماماً ،

ومن أسفل إلى أعلى ، كما لو أن شيئاً ما يخترق الأرض ، فى

طريقه إلى هنا .

فجأة ، انتفض جسده انتفاضة أخرى أكثر عنفاً ، عندما مس أحد

العلماء كتفه ، ووثب من مكانه ، وهو يطلق صرخة دُعر ، جطت

ذلك العالم يتراجع مذعوراً بدوره ، وهو يهتف فى ارتباك شديد :

— معذرة .. لم أقصد أن ...

قاطعته الدكتور (راشد) ، وهو يلوح بذراعيه ، ويلهث فى عنف :

— لا بأس .. لا بأس ..

بذل جهداً خارقاً للسيطرة على أعصابه ، وهو يضيف مشيحاً

بوجهه بعيداً ، محاولاً إخفاء توتره الشديد :

— كنت مستغرقاً فى التفكير فحسب .

لهث بضع لحظات أخرى ، لم ينطق خلالها ذلك العالم بحرف

واحد ، قبل أن يعتدل ، ويقول :

— ماذا كنت تريد ؟!

أشار ذلك العالم بيده ، قائلاً فى توتر :

— الأجهزة ترصد شيئاً عجيبيًا .

خفق قلب الدكتور (راشد) ، وهو يسأله بانفاس مبهورة :

— مصدر للطاقة .

اتسعت عينا الدكتور (راشد) ، وهو يقول :

— إنه أمر بالغ الخطورة .. هل حدّدتم موقعه بالضبط!؟

اتجه الرجل إلى خريطة رقمية للحصن ، على شاشة كبيرة ،
وأشار إلى نقطة منها ، قائلاً :

— هنا .

حدّق الدكتور (راشد) في تلك النقطة لحظة ، ثم هزّ رأسه
في قوة وتوتر ، هاتفًا :

— مستحيل !

— سأله الرجل في دهشة :

— ولماذا مستحيل !

أجابته في عصبية شديدة :

— لأنه مستحيل أن يمكننا التقاط أو رصد أي شيء ، عند هذه
النقطة بالذات !

تضاعفت دهشة العالم ، وهو يسأله :

— ولماذا هذه النقطة بالذات!؟

جاء دور الدكتور (راشد) ؛ ليلوّح بيده ، هاتفًا في انفعال :

— لأنه مغطاة كلها بألواح هائلة ، من الأسمت المدعوم
بالرصاص ، ويستحيل التقاط أي شيء منها ؛ لأنه لا شيء يمكنه
عبورها أبدًا .

وبدا شديد العصبية ، وهو يضيف :

— لا شيء على الإطلاق .

امتقع وجه العالم ، وهو يغمغم :

— ولكننا نلتقط شيئًا بالفعل .

انتفض جسد الدكتور (راشد) ، للمرة المائة ، في هذا النهار ،
وهو يقول بمنتهى العصبية :

— دعني أرى ما تلتقطون .

كانت الشمس تميل إلى الغروب ، عندما وقف أمام الشاشة
العلاقة ، ورأى ما يرصدون ..

وفي هذه المرة ، كانت ارتجافته أقوى ..

وأشدّ ..

وأعنف ..

ومن أعمق أعماقه ، تصاعد شديد ، على كل ما درسه في
حياته ، ومن علوم وقواعد فيزيائية ..

فمرة أخرى ، وقيل أن تغرب شمس يوم واحد ، كان ما يراه أمامه ، وبكل المقاييس ، أمر مذهل ..

ويلا حدود ..

بالفعل ..

لحظات رهيبه من الصمت ، سيطرت على الجميع ، بعد أن أدلى (هاشم) باعترافه المخيف هذا ..

لحظات تطعّ إليسه (نور) خلالها ، فى هدوء يضاعف من غرابه الموقف ، وحدقّ فيها الباقون فيه مستنكرين ، فى حين شدّ هو قامته ، على نحو أشبه بالتحدى ، وهو يسأله :

— كيف عرفت ؟!

هزّ (نور) كتفيه فى بساطة ، وأجاب :

— لقد ذكرت اسم ذلك الحاجز (كوباء) ، فى بساطة توحى باعتبارك ترديد الاسم ، ولكن (مشيرة) زوجة (أكرم) ، وهى إعلامية قديمة ، لم تذكر اسمه ، وبالتسببه لإعلامى قدير ، تتميز شخصيته بالفضول ، وتفرض عليه مهنته السعى خلف المعرفة ، إلى حد أنها جازفت بعبور الأطلال ، ولمس ذلك الحاجز ، فقط

لتعرف طبيعته ، وكان من العجيب ألا تذكر اسمه ، وهى تروى القصة ، وكأنها لا تعرفه .

ثم مال نحو (هاشم) ، متسائلاً :

— فكيف تألفه أنت يا (هاشم) ؟!

صمت (هاشم) لحظة ، ثم أجاب فى برود :

— لأنه كان يتردد كثيراً هناك .

واكتسب صوته صرامة عجيبة ، وهو يردف :

— فى الحصن .

قالها ، وأدار عينيه فى وجوه الجميع ، فى تحد عجيب ، جعل (أكرم) يغمغم فى غضب ، يمتزج بشيء من الإحباط :

— يا للوقاحة !

تابع (هاشم) متجاهلاً قوله :

— كانت هناك دوريات منتظمة لحراسته ، حتى أيقن طاقم العلماء من استحالة اختراقه ، بعد تجارب طويلة ، فلم يعودوا يبالون به .

قالت (سلوى) فى حزم :

— ربما كان أكبر خطأ ارتكبه ، فى عمرهم كله .

ألقى عليها (هاشم) نظرة مستهترّة ساخرة ، ثم عاد يلتفت إلى (نور) ، الذى سأله بنفس الهدوء :

— لماذا فررت من الحصن يا (هاشم) ؟!

أجابته (هاشم) فى سرعة ، وبانفعال عجيب :

— لأنهم أوغاد .

تمالك نفسه فى سرعة ، وعاد يتخذ تلك الوقفة الصارمة المتحدية ، فسألته (نشوى) فى اهتمام :

— هل كانوا يسيئون معاملتك ؟!

مضت لحظة ثقيلة من السكون ، قبل أن يهز رأسه فى بطء ، قائلاً :

— بل على العكس .. إنهم يمنحوننا كل نطلبه .

بدا الاهتمام الشديد على وجه (أكرم) ، فى حين راح (رمزى) يدرس انفعالات (هاشم) فى صمت ، شاركته فيه (سلوى)

(و نشوى) ، فى حين قال (نور) ، بنفس ذلك الهدوء ، الذى لم يفهموا سببه :

— ولكن ؟!

بدا من الواضح أن (هاشم) يكتم غضبًا شديدًا فى أعماقه ، وهو يضغط أسنانه لحظات ، قبل أن يجيب :

— لقد سبق وأن أخبرتكم .

ثم أضاف فى مقت واضح :

— إنهم أوغاد .

هزّ (نور) كتفيه بنفس الهدوء ، قائلاً :

— لم أفهم .

صمت (هاشم) لحظات ، وانفعالاته تتعالى تدريجيًا ، قبل أن ينفجر فجأة ، قائلاً :

— اسمع يا هذا .. ربما يطلقون عليك فى هذا الزمن لقب الأسطورة ، ولكن هناك الكثير مما تجهله ، فى هذا الزمن .

لم يفقد (نور) هدوءه الشديد ، وهو يقول :

— مثل تلك الأمور العجيبة ، والمثيرة للحيرة والشك ، والتى تحيط دومًا بالقائد الأعلى .

اتسعت عينا (هاشم) لحظة ، ثم عاد يتمالك نفسه فى سرعة ، ويغمغم فى عصبية :

— الأمور تفوق هذا .

مصّت لحظات من الصمت والسكون ، و (نور) يتطّلع إليه مباشرة ، ثم التفت لحظة إلى (رمزي) ، الذي أوماً برأسه إيجابياً ، فالتفت (نور) إلى (هاشم) ، وقال في بهجة هائلة ، تحمل الكثير من الود :

— ولهذا نعتد عليك يا (هاشم) .

رفع (هاشم) عينيه إليه في دهشة كبيرة ، شاركه فيها (أكرم) و (نشوى) و (سلوى) ، في حين ابتسم (رمزي) ، قبل أن يهتف (هاشم) :

— تعمدون عليّ أنا ؟!

وضع (نور) يده على كتفه ، قائلاً :

— إننا نتقّ فيك .

لم يفهم (أكرم) لماذا قال (نور) هذا ، ولكنه أضاف في سرعة وحماس :

— بالتأكيد .

أدار (هاشم) عينيه إليه ، في تأثر شديد ، واختلجت شفتاه لحظات ، قبل أن يشدّ قامته ، ويقول في حزم :

— أنا رهن إشارتكم .. سأخبركم بكل ما تريدون معرفته .

التقط (نور) نفساً عميقاً في ارتياح ، وقال :

— هذا ما تنتظره منك .

كان الصمت هذه المرة يختلف ..

كان صمت فريق ، يتقّ في قائده ، وحسن تقديره للأمور ، ولكنه يحمل في أعماقه طناً هائلاً من التساؤلات ..

وفي هدوء ، تحدث (رمزي) ، قائلاً :

— هل نبدأ تحركنا؟! .. الشمس توشك على المغيب!؟

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

— سنبدأ فوراً ؛ فعلينا أن نبتعد عن هنا بقدر الإمكان .

حمل الرجال الآلات ، وعاودوا السير ، في اتجاه الغروب ، حيث ذلك الحاجز المخمل العجيب ، واقتربت (سلوى) من (نور) ، هامسة :

— (نور) .. هل تتقّ به حقاً!؟

أجابها ، دون لمحة واحدة من التردد :

— نعم .

هزّت رأسها ، قائلة في قلق :

أجابته ، من وسط توترها :

— كيف يثق العلماء تمامًا ، في أن ذلك الحاجز يستحيل اختراقه؟!

هزّ كتفيه ، قائلاً :

— ربما لأن التكنولوجيا والمعرفة لا يتوافران ، بالنسبة لسكان الأطلال .

قالت في قوة :

— كلاً .. العلماء كرجال الأمن ، لا يمكنهم أن يهملوا أدنى احتمال .. كانوا سيواصلون دوريات الحراسة على الأقل .

استغرق لحظات في التفكير ، قبل أن يقول :

— المفترض أنك أنت الخبيرة في هذا المضمار ، فما الذي يدور في عقلك؟! ..

بدت شديدة الانفعال والحماس ، وهي تجيب :

— التكنولوجيا .

ابتسم ابتسامة حذرة ، قائلاً :

— وهذا ما اقترحه .

— ليتنى أشاركك ثقتك هذه ..

قال في حزم :

— سترين .

أومات براسها ، دون معنى محدد ، ثم قالت :

— المهم أن نحصل منه على كل ما يعرفه ، عن ذلك الحاجز (كوياء) .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

— إنه لا يعرف عنه شيئاً .

التفتت إليه في دهشة عارمة ، هاتفة في خفوت :

— فيم سيفيدنا إذن؟!

لاذ بالصمت بضع لحظات أخرى ، ثم قال في حزم شديد :

— سيفيدنا .. كما سترين .

« لا أستطيع فهم هذا .. »

قالتها (نشوى) في خفوت متوتر ، وهي تسير إلى جوار

زوجها (رمزي) ، الذي سألها في حذر :

— وما الذي لا تستطيعين فهمه بالضبط؟! ..

أشارت بسببابتها ، هاتفة :

— وهذا ما يؤكد صحة نظريتي ، فهم حتمًا وثقون ، من أنه مهما تطوّر العالم خارج الأطلال ، لن يمكنه عبور ذلك الحاجز قط .

قال ، وقد بدأ التوتّر يسرى فى كياته :

— حتى التكنولوجيا لها حدود .

ارتجف صوتها ، على الرغم من انفعالها ، وهى تقول :

— إلا لو كانت تكنولوجيا غير أرضية .

وعلى الرغم منه ، شارك جسده صوتها ..

وارتجف ..

« ولماذا حدث هذا ؟! .. »

قالها (هاشم) فى اهتمام ، وهو يسير إلى جوار (أكرم) ، الذى أجابه فى حسم :

— (نور) يتق بك .

سأله مرة أخرى :

— لم أسألك عن ثقة المقدم (نور) .. سألتك لماذا حدث أن

شاركته هذه الثقة ؟

صمت (أكرم) لحظة ، وكئنه يبحث عن جواب مناسب ، ثم قال :

هزّت رأسها نفيًا فى انفعال ، وقالت :

— كنت أعنى التكنولوجيا ، التى تم صنع ذلك الحاجز بواسطتها .. العلماء يتفقون فى أن تلك التكنولوجيا تفوق أية معارف أرضية .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يقول :

— لا تتركى العنان لخياالك ، إلى هذا الحد .

قالت فى حماس :

— احسبها أنت .. المقترض أن ذلك الحاجز ، الذى يطلقون عليه اسم (كوباء) ، يفصل بين منطقة الأطلال ، وباقى المناطق الأخرى ، وهو مقام إما لمنع سكان الأطلال من الخروج منها ، أو منع غيرهم من الدخول إليها ، وفى الحالتين ، هناك ألف احتمال واحتمال ؛ لأن يسعى بعضهم لعبوره ، كما هو الحال مع (هاشم) ، فلا يمكن والحال هكذا أن يتركوه بلا حراسة دورية ، إلا لو كانوا وثقّين ، مائة فى المائة ، من أن أحدًا لا يمكنه كشف تكنولوجيا وجوده أبدًا .

قال مفكرًا :

— (سلوى) وأنت أكنتما ، أن العالم خارج الأطلال يواصل تطوره المعتاد .

— إننى أثق فى (نور) ، فى حسن تقديره للأمور ، وتقييمه للأشخاص ، وما دام يثق بك ، فأنا أثق فى حكمه .

لم يرق الجواب للرجل ، فقال ، فى لهجة أشبه بالتحدى :

— وماذا لو كنت أصدقكم !؟

أجابه (أكرم) ، فى سرعة وحزم :

— مستحيل !

ثم استدرك فى سرعة وصرامة :

— لو أنك قرأت الكثير عنا كما تدعى ، فستفهم ما حدث بالضبط .

قال (هاشم) فى برود :

— أتعنى إشارة الدكتور (رمزى) للقائد (نور) !؟

أجابه (أكرم) :

— بالضبط .. لقد شعر (نور) بالثقة فى كلماتك ، دون أن ينطق بحرف واحد ، طلب مشورة (رمزى) ، أعظم خبير ومحلل نفسى عرفه التاريخ ، وعندما أوما (رمزى) برأسه إيجاباً ، كان يعطى إشارة إلى القائد ، أنه يثق فى أنك لست مخادعاً ، وأنا أثق فى تقييم (رمزى) ، أكثر من ثقتى فى مشاعرى نفسها .

ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يقول (هاشم) فى خفوت ، حمل الكثير من التأثر :

— إنكم تستحقون حقاً ما وصفكم به التاريخ .

ابتسم (أكرم) ابتسامة عصبية ، وهو يقول :

— ألن تكف عن الحديث عن التاريخ !؟

هزَّ (هاشم) رأسه نفياً ، وقال :

— مستحيل !.. التاريخ هو الدروس التى نتعلمها ، حتى لا ترتكب الأخطاء نفسها فى المستقبل .

أطلق (أكرم) ضحكة متوترة قصيرة ، قبل أن يقول :

— هذا بالضبط ما يردده (نور) دوماً .

تقمص أسلوب (نور) ولهجته ، وهو يبتسم ، مردفاً :

— المستقبل يكمن هناك .. فى أعماق التاريخ .

التفت إلى (هاشم) ، منتظراً تعليقاً منه ، إلا أن هذا الأخير توقف فجأة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وتلفت حوله فى توتر ، جعل (أكرم) يسأله فى خفوت ، وقد انقلب إليه توتره :

— ماذا هناك !؟

6- وجهاً لوجه ..

ذلك الشيء ، كان يتبعهم فى خفة ، عبر ذلك الظلام الدامس ..
لم تكن له خطوات بشرية ، وإنما خطوات رباعية ، توحى بأنه
حيوان ، يسير على أربع ..

وفى ذلك الزمن ، ووسط تلك الأطلال ، لم يكن هذا أمراً مألوفاً ..
بل لقد فَجَّرَ فى أعماقهم جميعاً سؤالاً مهماً ، لم ينتبهوا إليه
من قبل ..

فذلك العالم الجديد ، لم يكن يحوى أية حيوانات ..
فقط حشرات ، بعضها لم تألفه الأرض من قبل ، وكائنات آلية
صناعية ، أضيفت إليه من مصدر ما ..

مصدر لا يعلمه أحد ..

من سكان الأطلال على الأقل ..

ولكن ذلك الشيء الذى يتبعهم ، كان حتماً من الفضيلة
الحيوانية ، أيًا كانت ماهيته ..

ولقد حبس الجميع أنفاسهم ، وهم يتابعون خطواته تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

بدا صوت (هاشم) صارماً شديد التوتر ، هو يقول :

— إنها تتابعنا .

سأله (أكرم) بأنفاس مبهورة ، وهو يتلفت حوله على نحو
غريزى :

— ما هى هذه !؟

أجابته (هاشم) فى توتر :

— العين .

ثم رفع نظره وسبابته إلى أعلى ، وارتجف صوته بانفعال
عنيف ، وهو يضيف :

— عين الظلام .

وعلى الرغم منه ، اتسعت عينا (أكرم) ..

وانتفض جسده ..

بمنتهى العنف .

— كلب ..!؟ هنا !؟

حمل صوت الدُّب الكثير من التَأَثُّر ، وهو يغمغم :

— كنت أملك جرّواً صغيراً فى طفولتى .

قالها ، وانحنى فى بطء ، مستتراً بالظلام الدامس ، وربّت على ظهر الكلب ، الذى أطلق أصواتاً خافتة ، توحى بالأكفّة والسعادة ، مما جعله يحمله فى رفقى ، لا يتناسب مع ضخامته وطبيعته ، وهو يقول بلهجة بالغة التَأَثُّر ، كما لو أنه يبكى :

— لست أدرى حتى كيف نسيت هذا !

ران الصمت على الجميع بضع لحظات ، قبل أن يقول (طارق) فى حزم ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده :

— كم تبقى لنا ، حتى نصل إلى ذلك المخبأ الآمن !؟

انتزع الدُّب نفسه من تأثره ، وقال وهو يمسح دموعه تأثراً ، أفلنتت من عينيه :

— القليل .

وكان على حق تماماً فى عبارته ، فلم تمض دقائق أربع ، حتى كان يدفع باباً خفياً فى أرضية المخبأ ، فتسلل إليهم شعاع من الضوء ، بعد أن أعيا الظلام عيونهم طويلاً .

لم يكن من الممكن الجزم بما إذا كان حيواناً مفترساً ، أم أحد الحيوانات البرية ، التى تختفى فى الكهوف المظلمة ..

ولأنه لم يكن هناك سبيل للفرار ، فقد التصقوا بالجدار ، وسحب الدُّب خنجره ، و ...

وفجأة ، انتفض جسده كله فى قوة ، على الرغم من ضخامته ، وندت منه شهقة عنيفة ، وهو يغمغم فى خشونة عصبية :

— رباه ..! إنه .. إنه ..

سأله (طارق) الصغير بأنفاس متلاحقة :

— إنه ماذا !؟

لهتت أنفاس الدُّب ، وهو يجيب :

— إنه يلحق ساقى ..

اتسعت عيونهم ، و(طارق) يسحب مسدسه فى توتر ، قائلاً :

— يلحقها !؟ ..! هو ...

قاطعه الدُّب ، فى خفوت عجيب ، حمل فيضاً من المشاعر :

— إنه كلب .

قفزت دهشتهم إلى ذروتها ، و(محمود) الصغير يهتف :

ودون تبادل كلمة واحدة ، جلسوا فى ذلك المكان الضيق ، جيدً التأنيث ، والذي يحوى شاشة رصد كبيرة ، وجهاز كمبيوتر شخصى صغير ، ومنضدة من خشب قديم ، التفوا حولها ، وهم يتطلعون إلى ذلك الكلب أصفر اللون ، والذي استقر مطمئناً بين ذراعى الدب ، الذى راح يسقيه من وعاء صغير ، فى حنان جعلهم يعيدون نظرهم إليه ، والكلب يلحق الماء فى نهم ، ثم يلتفت ليلحق يد الدب ، بين الحين والآخر ، فى امتنان عجيب ، حتى قطع الدب نفسه ذلك الصمت ، وهو يقول فى تأثر :

— إنه يشبه جروى القديم .

قال (محمود) الصغير فى حزم :

— هذا أمر طريف ، ولكن لست أظننا سنترك كل شيء ، ونهتم بذكرياتك مع جروك القديم هذا .

اعتقد حاجبا الدب فى غضب ، وانحنى يضع الكلب أرضاً ، ويضع أمامه إناء الماء ، ثم تحرك ليلتقط بعض الغذاء الجاف ، الذى يتم الاحتفاظ به فى المخبأ ، ويضعه أمام الكلب ، وربت عليه فى حنان ، ثم اعتدل يقول فى صرامة :

— سنقتضون هنا بعض الوقت ، حتى يمكننى حسم الأمور ، والقضاء على المعارضين .

قال (طارق) فى سرعة وصرامة :

— كلاً ..

تراجع الدب فى دهشة ، فتابع (طارق) بنفس الصرامة :

— لو أنه هناك خطر يتهددنا ، أو يتهدد هذا العالم ، فلن نخشى هنا ، ونقف ساكنين ، بينما تعمل أنت وذئبك لإبقائنا .

بدا الدب شديد التوتر ، وهو يقول :

— الأمر أخطر مما تظنون .

نهض (محمود) الصغير فى حزم ، وهو يقول :

— ونحن زعيمان ، ولن نخشى هنا .

قال الدب ، وتوتره يتزايد :

— هذا هو الغرض ، من وجود المخبأ السرى .. حماية الزعماء .

بدت عبارته منطقية للغاية ، ولكن (طارق) نهض ، قائلاً :

— عظيم .. هذا لن ينطبق على إنن ، فلست زعيماً مثلها .

قال الدب ، وقد تحولَ توتره إلى عصبية :

— ولكنك ستبقى معهما .

كان (طارق) يهم بالاعتراض ، ولكن الذب استدرك في سرعة :

— حتى مطلع الشمس فحسب .

سأله (طارق) في توتر ، شاركه إياه خاله وشقيقه :

— ولماذا !؟

التزم الذب بضغ لحظات ، قبل أن يقول :

— سأخبرك .

وعاد يتخذ مجلسه ..

وأخبرهم ..

وكان ما أخبرهم به مفاجئاً ومدهشاً ..

وإلى حد كبير ..

على الرغم من كل معارفه وعلومه ، لم يستطع الدكتور (راشد) أبداً فهم هذا الذي ترصده الأجهزة ، من البقعة التي تم دفن جسد (محمود) الزورومي في أعماقها ..

لقد تم دفن ذلك الجسد ، الذي يجمع بين الخلايا الحيوية لـ (محمود) ، ومادة (الزوريوم) الحيوى ، الذي ما زال وطاقمه يجهلون الكثير عنها ، ويكشفون مفاجآت عديدة لها ، في كل يوم ..

ولقد وضعوا جسد (محمود) داخل تابوت سميك من الرصاص ، يستحيل ، وفقاً لكل القواعد الفيزيائية المعروفة ، أن تخترقه أية طاقة ، مهما بلغت قوتها ، ولم يكتف القائد الأعلى بهذا ، وإنما غطى منطقة الدفن كلها بألواح سميكة ، من الأسمنت الرصاصى ، التى تصنع حواجز إضافية للطاقة ..

وعلى الرغم من كل هذا ، فما زالت الأجهزة تلتقط تلك الاهتزازات ، التى تأتي من البقعة نفسها بقوة ، وتتصاعد طوال الوقت ، من أسفل إلى أعلى ، كما لو أنها لشىء يهم باختراق الأرض ، وبلوغ الحصن ..

فماذا يمكن أن يكون هذا !؟! ..

ماذا !؟! ..

كان التوتر يغمر كل ذرة من كيانه ، من كثرة ما مرَّ به في يوم واحد ، من أمور تتجاوز كل علم درسه ، وكل نظرية علمية آمن بها ، حتى أنه لم يعد يحتمل ، ويوشك على الانفجار ..

ثم أن ما عرفه ، عندما دفعه الفضول إلى المعمل الغامض ، كان يفوق قدرته على حفظه كالسر الدفين في أعماقه ..

كان ولا بد له من أن يفصح عنه لمخلوق ما ..

أى مخلوق ..

بل إن واجبه قد يحتم عليه أن يفصح عنه لجموع العلماء ..

أو حتى لكل من داخل الحصن ..

إنه أمر قد يعنى مستقبلهم جميعاً ..

قد يعنى وجودهم ..

أو فناءهم ..

لذا ، لا بد وأن يخبرهم ..

لا بد ..

امتدَّت يده ، لتضغط زر الاتصال العام ، وقد حسم الأمور في أعماقه ، ولكن قبل أن تمس سبائته زر الاتصال ، اشتعلت الشاشة الهولوجرافية فجأة ، وارتسم وجه القائد الأعلى ، وهو يقول في صرامة :

— دكتور (راشد) .. أريدك في مكتبي .

انتفض جسد الرجل في عنف ، وتراجع مبتعداً عن شاشة الاتصال الهولوجرافية بحركة حادة ، كما لو أن ظهور وجه القائد الأعلى قد أصابه بصعقة كهربية ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، حتى إن القائد الأعلى قال في صرامة :

— هل أفزعك رؤيتي !?

أجابته الدكتور (راشد) ، بعد لحظات ، بذل خلالها جهداً خرافياً ؛ للسيطر على انفعاله :

— كلاً .. لقد فاجأتني فحسب .

صمت القائد الأعلى لحظات ، ثم قال في صرامة أكثر :

— أريدك الآن .

أنهى الاتصال بحركة أخرى مباغتة ، جعلت جسد الدكتور (راشد) ينتفض مرة أخرى ، قيل أن يلهث في توتر ، وقد راح قلبه يخفق ، كما لم يخفق من قبل قط ..

ها هو ذا ما كان يخشاه بشدة ، منذ رأى ما رآه ، عند ذلك المعمل الغامض ..

أن يلتقى به ..

أن يقف أمامه وجهاً لوجه ..

راح يلهث يضع لحظات ، عاجزاً عن التغلب على ذلك الفيض الرهيب من المشاعر والانفعالات ، الذي تفجّر في أعماقه ، وقال محدثاً نفسه ، وكأنما يحاول تهديتها :

— إنه لا يعلم أنتي رأيت ما رأيت ، قلمانا أخشاه !؟ .. لا بد وأن أواجهه في ثقة .. إنه لن يفعل شيئاً ، ما دام لا يعلم شيئاً .

نهض في توتر ، وعدل من هنادمه ، والتقط نفساً عميقاً ، في محاولة لتهدئة أعصابه ، قبل أن يحسم أمره ، ويتجه إلى هناك ..

إلى حجرة القائد الأعلى ..
مباشرة ..

ولم يمض وقت طويل ، حتى كان يقف أمامه ..

وعلى الرغم من كل ما حول إقناع نفسه ، طوال الطريق إليه ، لم يستطع الدكتور (راشد) منع جسده من الارتجاج ، وهو يقف أمام القائد الأعلى ، الذي تأمله في إمعان بضع لحظات ، قبل أن يقول في صرامة :

— التقرير الذى وصلنى ، من المعمل المركزى ، يقول : إنكم ترصدون اهتزازات رأسية ، تتبع من نفس المنطقة ، التى دفتنتم فيها ذلك التابوت ، الذى يحوى الجسد الزوربومى .

تعمم الدكتور (راشد) :

— هذا صحيح .

لم يستطع مع الارتجافة ، التى خرجت مع كلماته ، وأعلنت توتره ، فتطلع إليه القائد الأعلى لحظات أخرى ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، متسائلاً :

— وهل توصلتُم إلى ماهيتها !؟

هزَّ الدكتور (راشد) رأسه نفياً ، وقال :

— لا توجد وسيلة لهذا ، إلا إذا ..

بتر عبارته ، دون أن يكملها ، فتساعل القائد الأعلى فى صرامة أكثر :

— إلا إذا ماذا !؟

ترددَّ الدكتور (راشد) لحظات ، ثم قال :

— إلا إذا أخرجنا هذا التابوت ، و ...

قاطععه القائد الأعلى ، وهو يقول فى حدة :

— هكذا !؟

ثم نهض من خلف مكتبه بحركة حادة ، جعلت الدكتور (راشد) يتراجع على نحو عنيف ، وانتفض قلبه بين ضلوعه ، والقائد الأعلى بدور حوله ، ويرمقه بنظرات قاسية صارمة ، مستطرداً :

— هذه هى الوسيلة إذن .. إثارة حبرتنا وتوترنا ، ودفعنا إلى إخراج ذلك التابوت ، و ...

« لقد شاهدتك هناك ... » ..

لم يدر الدكتور (راشد) أبداً ، لماذا تجاوزت تلك العبارة حلقه ، ولكنه لم يكذب ينطقها ، حتى جفت الدماء فى عروقه ، ولعن تهوُّره ألف مرة ، وتصور أن القائد الأعلى سيهاجمه فى عنف ، مما جعل جسده كله يتحفظُ ، ولكن القائد الأعلى دار ، حتى وقف أمامه مباشرة ، وهو يقول فى صرامة :

— أعلم هذا .

ثم أشار بيده فى الهواء ، فتألمت شاشته الهولوجرامية الكبيرة ، فى منتصف الحجره ..

وتراجع الدكتور (راشد) كالمصعوق ..

فعلى الشاشة ، وفى فراغ الحجره ، ظهرت صورته ، وهو يراقب القائد الأعلى خفية ..

وفى اللحظة نفسها ، مال القائد الأعلى نحوه ، وبدت عيناه كجمرتين من اللهب ، وهو يقول :

— الآن عرفت .. ماذا تتوقع بعدها إذن ؟!

ولم ينتفض جسد الدكتور (راشد) هذه المرة ..

لم ينتفض ، وإنما تجمَّد كله فى رعب هائل ..

رعب بلا حدود ..

ويلا أمل فى النجاة ..

بلا أدنى أمل ..

اختفت الشمس بالفعل ، خلف الأطلال البعيدة ، واصطبغ الأفق بألوان الغروب البديعة ، التى تناقضت بشدة مع ما تحمله الأطلال من كآبة ، والتف أفراد الفريق كلهم حول (هاشم) ، يرفعون أعينهم إلى السماء ، و(سلوى) تتساءل فى قلق :

— أى عين تلك التى تتحدَّث عنها يا سيد (هاشم)؟! .. لست أرى شيئاً فى السماء .

قال فى توتر :

— لا يمكنك رؤيتها فى المعتاد ؛ فهى تتخذ نفس هيئة السماء ، بحيث يصعب تحديدها وسطها بالعين المجردة ..

سأله (أكرم) فى عصبية :

— كيف لمحتها أنت إذن ؟!

أشار (هاشم) بسبَّابته ، مجيباً :

— لقد مرَّت لجزء من الثانية ، أمام واحدة من السحب

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى عصبية :

كرر (هاشم) متوتراً :

— إذا ما استلزم الأمر .

بدأت علامات تفكير عميق على وجه (نور) ، وتوقف ليجلس على صخرة قريبة ، من بقايا الأطلال ، ولاذ بالصمت التام ، واحترم الجميع صمته ، ووقفوا يتطلعون إليه ، فمال (هاشم) على أذن (أكرم) ، يسأله :

— ماذا يفعل القائد ؟!

أجابه (أكرم) فى اقتضاب حازم :

— يفكر .

قال (هاشم) ، فى دهشة مستنكرة :

— فى مثل هذه الظروف .

قال (أكرم) فى صرامة :

— تفكيره هو وسيلتنا ، للتغلب على تلك الظروف .

ثم التفت إليه ، مستطرداً ومؤنباً :

— أم أنك لم تقرأ من التاريخ ، سوى سيرتى فقط .

لم يحاول (هاشم) حتى إجابته ، وهو يتطلع إلى (نور) فى اهتمام وانتباه ، حتى اعتدل (نور) فجأة ، وسأله (نشوى) (نشوى) :

— ثم أننى أعرف بوجودها ، من أيام عملى بالحصن .

سأله (نور) فى اهتمام :

— كنت ضمن فريق علماء الحصن .. أليس كذلك ؟!

أجابه (هاشم) ، دون أن يلتفت إليه :

— لن أسألك حتى كيف عرفت ، ولكن الجواب هو نعم .. كنت

ضمن فريق علماء الحصن ، وأعرف الكثير عنه ... وعن تلك العين اللعينة .

سأله (نشوى) فى اهتمام :

— إنها عين راصدة .. أليس كذلك ؟!

أوما برأسه إيجاباً ، وقال وهو يخفض صوته ، وكأنما يخشى

أن يسمعه أحد :

— بلى .. هى أكثر نشاطاً فى الليل ، منها فى النهار ؛ فهى ترصد

الانبعاث الحرارى من الأجسام ، وتتابعها ، وتنقل إلينا مسارها

طوال الوقت ، وربما تتولى أموراً أيضاً ، إذا ما استلزم الأمر هذا .

تبادل الجميع نظرة متوترة ، قبل أن يقول (رمزى) :

— إذن ، فهى هجومية أيضاً .

— ماذا وجدتما ، داخل تلك الدودة العملاقة ؟!

كانت (نشوى) أسرع من أجاب ، وهى تقول :

— آلات توجيه ، ورصد حرارى ، ومجسات صوتية و ...

قاطعها فى حزم :

— ألا توجد بينها أجهزة ، يمكن أن تصدر إشارات عالية التردد .

أدركت (سلوى) ما يعنيه على الفور ، فأجابته فى سرعة

وحماس :

— ليس على نحو مباشر ، ولكننى أستطيع تعديل بعضها ،

وإضافة جهاز إلى ثان أو ثالث ، وخلال ساعتين على الأكثر ،

أستطيع منحك ما تريد .

أدار عينيه فى وجوه الجميع ، قبل أن يقول :

— وخلال الساعتين ، ستعمل على منع تلك العين الخفية ، من

رصد ما نفعله هنا .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

— وكيف هذا ؟!

أشار بيده إلى حيث يقف (أكرم) و(هشام) ، مجيباً :

— هما لديهما خبرة بالعيش وسط الأطلال ، وسيجدان وسيلة .

تعتقد حاجبا (أكرم) ، وشعر أن المسئولية قد أقيت على عاتقه ، فقال متوتراً :

— إنها أكثر نشاطاً فى الليل ، منها فى النهار .

التفت إليه (هاشم) ، قائلاً :

— وترصد الانبعاثات الحرارية .

التفت نظرته بنظرات (أكرم) ، الذى أضاف فى حزم :

— والمثل القديم يقول : « لا يقل الحديد : سوى الحديد .. » ،

وهذا يعنى أن مقاومة كاشف الحرارة تكون بـ ...

اندفع (هاشم) ليحسم الأمر . محملاً فى حماس :

— النار .

قالها ، وكلهم يعلمون أنهم لا يستطيعون رؤية عين الظلام ،

ولكنها بالتأكيد ترصد كل ما يفعلونه ..

وربما كل ما قالوه ..

كل حرف منه ..

وبمنتهى الدقيقة ..

لم تتوقَّف دموع (مشيرة) لحظة واحدة ، وهى تجلس على أرضية تلك الحجرة الخفية ، التى سجنها فيها الذئب ، داخل وكره السرى ، وتضمُّ ركبتهما إلى صدرها ، مسندةً نَفتها إليهما ، ومتطلعة فى مرارة إلى ذلك القفص ، الذى ترقد داخله تلك الهرة المسكينة ..

لقد أثبت لها الذئب ، بتجربة عملية ، أن لديه العقار ، الذى حلم به المغامرون ، منذ عشرات القرون ..

قطرة واحدة من ذلك العقار ، أعادت الهرة سبع سنوات إلى الوراء على الأقل وبقفزة واحدة ..

كانت هرة عجوز ، متهاككة ، لعقت قطرة من العقار المدهش ، فعادت هرة صغيرة ، مفعمة بالحيوية والنشاط ..

وهى لا تتسى كيف التمتعت عيناه لحظتها ، وكيف واجهها ، قاتلاً :

— الهرة عادت صغيرة .. شابة .. عادت أكثر جمالاً ، وحيوية ونضارة .. ألا تحلمين بالمرور بالتجربة نفسها ، يا سيِّدة (مشيرة) ؟ .. ألا تحلمين بالعودة إلى نضارة وحيوية الشباب ، بين نراعى زوجك المحب ؟! .. ألا يساوى هذا الحلم الكثير !؟

لم تستطع لحظتها إجابته مباشرة ، من فرط انفعالها ، فحدقت فى عينيه بضع لحظات ، قبل أن تجيب فى صوت مبوح مرتجف :

— من المؤكد أن الثمن سيكون باهظاً .

ابتعد عنها لحظتها ، وأشار بيده ، قاتلاً :

— كل شىء فى الحياة له ثمن ، وعلينا أن ندفع الثمن نستحق أن نحيا .

ارتجف صوتها ، وهى تجيبه :

— أحياناً ما يكون الموت أكثر قيمة من الحياة .

فوجئت به لحظتها يلوح بذراعه كلها ، وهو يقول فى حدة :

— هراء .. عبث .. خداع للنفس .. كلمات جوفاء ، يرددها أولئك الذين لا يجدون سبيلاً للحياة ، ويتصورون أن سبيلهم الوحيد للتميز هو الموت .

ابتعد عنها أكثر ، قبل أن يهتف ، مكملاً فى عصبية :

— إتهم حمقى ، يشترون الموت ، ويسعون خلفه فى إصرار ، ويخسرون الحياة بجمالها ، وممتعها ، و ...

قاطعته فى عصبية :

— وجبروت وسطوة من فيها .

صمت بغتة ، وهو يولبها ظهره ، ولم تشهد انفعالاته طويلاً ،

قبل أن يقول فى صرامة شديدة ، دون أن يلتفت إليها :

— فليكن .

ثم استدار إليها في حركة حادة ، جعلتها تنتفض على الرغم منها ، مع تلك النظرة المخيفة ، التي أطلت من عينيه ، وهو يقول :

— حديثك الآن حديث انفعال ، يفتقر إلى العقل والمنطق يا امرأة .. لذا ، فسامنك فرصة للتفكير والتبكير ، واتخاذ القرار .. وسأحتفظ بك حتى ذلك الحين هنا .

غمغمت بأنفاس متلاحقة :

— هنا!؟ ..

أكمل بنفس اللهجة والنظرة المخيفتين ، وهو يرفع قفص الهرة عاليًا :

— وستبقى هذه معك ، حتى ترينها أمامك طوال الوقت ، وتعيدين النظرة في قرارك .

انتزعت نفسها لحظتها من خوفها وتوترها ، وهي تهتف :

— وما الثمن الذي يمكن أن تطلبه!؟

عاد إليها بخطوات مسرعة ، جعلتها تلتصق بالجدار مرة أخرى ، ومال نحوها ، حتى ارتطمت أنفاسه بوجهها ، وهو يقول :

— أي ثمن يا امرأة .. عندما تتخذين قرارك ، سيكون عليك دفع أي ثمن أطلبه منك .. أي ثمن ، أيًا كان ، وبلا أنى مناقشة .

« أي ثمن أيًا كان .. »

ترددت العبارة في ذهنها عشرات المرات ، وهي تحدق في تلك الهرة الصغيرة ، التي سئمت الرقاد ، فنهضت داخل قفصها ، تداعب أسلاكه ، وتدور حول نفسها في حيوية ..

ومع الدموع التي انسابت من عينها ، راحت تستعيد كلمته ..
نعم إنه حلم ..

حلم أن تعود شابة ، جميلة ، ناضرة ، تملأ بالحيوية والنشاط ، وتستطيع أن تسعد زوجها وحبیبها (أكرم) ..

(أكرم) الذي كثيرًا ما كانت تتشاجر معه ، عندما كانا يعيشان في منزل أثيق ، وسط عالم متحضر ، والذي أدركت قيمته وعشقه ، وهما هنا ، بين الأطلال ..

(أكرم) الذي لم يبال بفارق العمر بينهما ، والذي صنعته قفزة (أكرم) عبر الزمن ، وضمها إليه بكل الحب والحنان ..

(أكرم) ، الذي تخشى في كل لحظة أن يتركها ..

أن يدرك عمرها الحقيقي ..

وأن يسعى بالفعل ، خلف شابة صغيرة ، ياتعة ، مفعمة بالحيوية وبكل نشاط الدنيا ..

من يدري!؟ ..

إنه ، كما قال الذئب ... رجل .

سرى الخوف ، مع ارتجافه باردة ، فى كل خلية من خلاياها ،
ووجدت نفسها تهتف فى مرارة :

— لا يا (أكرم) .. لا تفعلها .

لم تكذ تنطق بها ، حتى سمعت صوت باب يفتح ، فى مقر
الذئب ، الذى يفصلها عنه جدار واحد ، وسمعته يقول فى صرامة :

— ماذا فعلت؟! .. وما هذا!؟

كان صاحب الخطوات هو الذئب ، الذى وقف أمام الذئب ، حاملاً
ذلك الكلب الأصفر ، الذى تبعه فى امتنان ، وكان يبدو متوتراً ،
وهو يجيب بصوته الغليظ ولهجته الفظة :

— إنه كلب ضال ، عثرت عليه بين الأطلال ، و ...

قاطعته الذئب فى صرامة غاضبة :

— لا تحاول خداعى .

انعقد حاجا الذئب الكئان ، وهو يقول مستكراً :

— خداعك!؟

أشار إليه بسبابته ، وهو يستطرد فى غضب :

— نعم .. خداعى .. كلانا يعلم أنه ، ومنذ تلك الكارثة ، لا توجد
أية حيوانات بين الأطلال .

قال الذئب فى عصبية :

— ولكنه كان هناك .

لوح الذئب بسبابته ، فى غضب شديد ، ولكنه لم ينطق شيئاً ،
على الرغم من عينيه المشتعلتين ، ثم لم يلبث أن أعاد كفيه إلى
ما خلف ظهره ، ليعقدهما معاً فى صرامة ، بدت واضحة فى
صوته ، وهو يقول :

— تخلّص منه .

ضمّ الذئب الكلب إلى صدره فى قوة ، وكأنه يحاول حمايته ،
وهو يقول فى توتر شديد :

— مستحيل!..

اشتعل غضب عارم ، فى كل خلجة من خلجات وجه الذئب ،
وبدا لحظات وكأنه سينفجر فى وجه الذئب ، إلا أنه لم يلبث أن
تجاوز هذا لسبب ما ، وهو يقول فى صرامة :

— ماذا فعلت فيما طلبته منك!؟

ظلّ الذئب يضم الكلب إلى صدره ، وهو يقول :

التقط الذئب نفساً عميقاً فى ارتياح ، فسأله الذئب فى فضول :

— ولكن لماذا لم تطلب منى قتلهم مباشرة ؟!

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يجيب الذئب ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

— لو أنهم قتلوا ، فسيثير هذا موجة هائلة من الغضب ، بين رجال المقاومة ، وستجرى حتماً تحقيقات فى هذا الشأن ، ولو حدث وعاد (نور) وفريقه ، فلن تغيب الحقيقة عنهم أبداً ، كما أكدت كتب التاريخ ، التى روت مغامراتهم ، أما ما وضعتهم فيه ، فقد لا يتجاوزونه أبداً .

نهت أنفاس الذئب فى أعماقه ، وهو يسأله :

— أتعنى ذلك المخبأ .

هزّ الذئب رأسه نغيماً ، والتمعت عيناه ، وهو يقول :

— ذلك المخبأ مجرد مدخل لشيء آخر .. شيء لم يواجهوه قط من قبل .. بل لم يتصوروا حتى وجوده .. وعندما يواجه المرء ما يجهله ، فهو حتماً سيعجز عن مواجهته .

شعر الذئب بخوف عجيب فى أعماقه ، وهو يتسائل فى حذر :

— أى شيء هذا ؟!

— كل شيء صار كما خطّطت له بالضبط .

سأله فى اهتمام :

— هل اقتنعوا بأنهم يواجهون خطر القتل ؟!

أجابه الذئب فى سرعة :

— الرجال الذين أرسلتهم ، لم يكونوا يعظمون أنهم يهاجمون المنزل الآمن للزعيمين ، بل تصوروا ، كما اقتنعتم أنت ، أنهم يحاصرون منزل خائن ، باع أسرارنا للحصن ، ولكن الثلاثة رصدوا الحصار ، وجعلهم هذا يصدقون ما رويته لهم .

سأله فى اهتمام :

— وأين هم الآن ؟!

أجابه فى حسم :

— فى ذلك المخبأ الوهمى ... ينتظرون حتى صباح الغد ..

اقترب الذئب منه ، وهو يسأله :

— وهل صدّقوا ما بررتّ به هذا ؟!

أوماً الذئب برأسه إيجابياً ، وقال :

— كل حرف منه .

أجابه الذئب فى سرعة :

— شىء لا وجود له ..

وتضاعفت التماعة عينيه ، وهو يضيف فى وحشية عجيبة :

— العدم .

وعلى الرغم من تلك الانتفاضة ، التى شملت جسده كله ، لم

يفهم الدُّب شيئاً ..

أى شىء .

7 - العدم ..

لدقيقة أو يزيد ، ظلَّ جسد الدكتور (راشد) جامداً فى مكانه ، على الرغم من الارتجافة العنيفة ، التى ترج أعماقه ، والقائد الأعلى يدور حوله فى صمت ، بعينيه الشبيهتين بجمرتين من اللهب ، قبل أن يقول فى صرامة :

— والآن ، ماذا رأيت بالضبط !؟

لم يكن الدكتور (راشد) ينوى أن يجيب ، إلا إنه ، وعلى الرغم منه ، وجد نفسه يقول ، فى صوت شديد الارتجاف :

— عدم .

توقَّف القائد الأعلى ، ورمقه بنظرة نارية ، قبل أن يقول فى بطء :

— وكيف عرفت أنه عدم !؟

من المؤكَّد أن الدكتور (راشد) أراد أن يكذب ، أو يخفى الإجابة الحقيقية لسبب ما ، إلا أنه فوجئ بلسانه يجيب ، وبنفس الارتجافة :

— فى البداية ، تصوَّرت أنه هناك ظلام رهيب ، يكمن خلف جدار ذلك المعمل ... ظلام لا يشبه أى ظلام عرفته من قبل ..

حتى ما يطلقون عليه اسم (الظلام الدامس) .. إنه ظلام يملأ نفسك بالخوف والرعب ، لمجرّد النظر

صمت لحظات ، ازدرد خلالها لعابه في صعوبة ، قبل أن يتابع ، في صوت أكثر ارتجافاً :

— ظلام هو الرعب نفسه .

انتظر القائد الأعلى أن يكمل الرجل حديثه ، فلما طال صمته ، قال في صرامة ، يستحثه على المواصله :

— ثم ؟!

امتقع وجه الدكتور (راشد) ، وكأنما مجرد ذكر الأمر ، يعيد إليه ذكرى تلك اللحظات الرهيبة ، إلا أنه لم يلبث أن غمغم ، وهو يحدق في العينين النارييتين :

— ثم أدركت أن هذا يشبه ما انتزعناه من عقل (محمود) ، قبل أن يبدأ جسده الزوربومى فى العمل .

اعتدل القائد الأعلى ، وهو يقول فى صرامة :

— عندئذ أدركت أن هذا هو العدم ؟!

جف حلق الرجل فى شدة ، وهو يتمم :

— أجل .

صمت القائد الأعلى لحظات ، ثم سأل ، فى صرامة أكثر :

— ولكنك لم تعلم ماذا يوجد هناك ... فى قلب العدم ؟!

هز الدكتور (راشد) رأسه نفيًا فى ارتياح ، وهو يجيب :

— لقد أسرعت أعدو مذعورًا ، فور رؤيتي هذا .

قال القائد الأعلى ، وصرامته تتزايد :

— ولم يغلبك فضولك العلمى للمعرفة ؟!

قال الدكتور (راشد) ، وهو يشارف الانهيار :

— رعبى كان أشد .

شدّ القائد الأعلى قامته ، وصمت بضغ لحظات ، قبل أن يقول بلهجة مخيفة :

— خطأ .

فى بطء مذعور ، استدار إليه الدكتور (راشد) ، فتابع بنفس اللهجة المخيفة :

— كان ينبغي أن يدفعك فضولك العلمى للمعرفة .. أو لطرح السؤال على الأقل .

كلماته جعلت رجفة باردة تسرى فى كيسان الدكتور (راشد) كله ، قبل أن يسأل ، فى خوف وتردد شديدين :

— ماذا يوجد هناك ؟!

تألقت عينا القائد الأعلى ، وكان

حاول الدكتور (راشد) أن يكرّر في هلع :

— هل ..

مرة أخرى قاطعه القائد الأعلى ، في صرامة مخيفة :

— سندهب إلى هناك معاً .

بدا صوت الدكتور (راشد) أشبه بصحراء جافة ، وهو يغمغم :

— معاً؟!!

التمعت عينا القائد الأعلى ، أو أنهما توهجتا في شدة ، وهو

يجيب في لهجة ، هي الرعب كله ، واضعاً يده في قوة ، على

كف الدكتور (راشد) :

— الآن .

شعر الدكتور (راشد) بموجة باردة كالثلج ، تسرى في كيانه

كله ، من موضع يد القائد الأعلى ، وشعر بالمكان كله يظلم من

حوله ، و ...

وفجأة ، لم يعودا في مكتب القائد الأعلى ..

لقد صارا هناك معاً ..

في قلب العدم ..

مباشرة ..

ما كان ينتظره ، وشدّ قامته أكثر ، وهو يقول :

— أمور لا يمكنك تخيلها أبداً .

جف حلق الدكتور (راشد) ، وهو يقول :

— هذا ما توقّعت .

مال القائد الأعلى نحوه ، وبدا صوته أشبه بفحيح أفعى

ضخمة ، من أفاعى الجحيم ، وهو يقول مكملاً :

— وما سيزيد من معارفك العلمية ، إلى حد لا يمكنك تصوّره .

نجحت تلك العبارة الأخيرة ، في استعادة الفضول العلمي ، في

أعماق الدكتور (راشد) ، حتى إن أنفاسه تلاحقت ، وهو يسأله :

— ماذا بالضبط؟!!

أوماً القائد الأعلى برأسه ، قائلاً :

— لا بد وأن ترى بنفسك .

ارتجف جسد الدكتور (راشد) في عنف ، عند سماعه

العبارة ، وبدت الكلمات وكأنها تنهار على شفتيه ، وهو يقول :

— هل ستتعب ...

قاطعه القائد الأعلى في حزم :

— لن يستغرق هذا وقتاً طويلاً :

على نحو لم ترصده عين الظلام من قبل قط ، اشتعلت مساحة كبيرة من الأطلال ، بعد قليل من غروب الشمس ..

مساحة واسعة ، سرت فيهما النيران ، على الرغم من أنها تتكوّن كلها من أحجار وأطلال جافة ..

وهناك ، في قلب الحصن ، ومع ذلك المشهد العجيب ، غمغم (هيثم) مشدوهاً :

— رياه !.. كيف حدث هذا ؟!..

بدا العلماء في حيرة أكبر منه ، وأحدهم يقول :

— المقترض ألا يحدث أبداً .

هتف (هيثم) في عصبية :

— ولكن عين الظلام ترصده .

قال عالم آخر ، في عصبية لا تقل عن عصبية :

— سواء أكانت ترصده أم لا ، هذا لا يمكن أن يحدث ؛

فما نراه هنا ليس نيراناً عادية .

قال (هيثم) بنفس العصبية :

— ما أراه يشبه أية نيران رأيتها ، في عمري كله .

أشار عالم ثالث إلى الشاشة ، وهو يقول :

— ولكنها تبدو كذلك فحسب .. إنها لا تتأجج كأية نيران معروفة .. إنها نيران متأرجحة ، كما لو أنها .. كما لو أنها ..

لم يطق (هيثم) صبراً ، فهتف في غضب :

— كما لو أنها ماذا ؟!..

قال رابع في توتر :

— كما لو أنها نيران لعبة من الألعاب الرقمية ، التي كانت واسعة الانتشار ، قبيل تلك الكارثة .

تراجع في دهشة هائلة ، وهو يردد :

— نيران لعبة رقمية ؟!..

ثم استعاد عصبية ، وهو يضيف :

— مستحيل !.. لا يمكن أن يحدث شيئاً كهذا !!

« بل إنه أمر ليس عسيراً ، بالنسبة لخبيرة مثلى .. »

قالتها (نشوى) في حسم ، فحنق فيها (هاشم) في دهشة بالغة ، وهم يقطعون الأطلال في الظلام ، وهتف :

— ولكن كيف ؟! لست أرى حولنا أية نيران ، ولكنكم جميعاً

تسيرون في ثقة واطمننان ، مؤكدين إن عين الظلام لن يمكنها

رصدنا ؛ لأن كل ما سترصده ، مجرد مساحة واسعة من النيران ،

تحجب أية حرارة أخرى .. فكيف هذا ؟!

أجابته (سلوى) فى حزم :

— إنه أمر يطلق عليه اسم (الخداع الرقمى) يا سيد (هاشم) ..
تلك العين لا تملك عقلاً مفكراً كالإنسان ، ومهما بلغ نوع ذكائها
الاصطناعى ، فهو لا يزال اصطناعياً ، لن يمكنه أن يتفوق قط ،
على الذكاء البشرى التقليدى .

أضاف (نور) ، عند هذه النقطة :

— إنها تمتلك مجسّات حرارية ، ترصد أى مصدر حرارى ، وكل
ما فعلته (سلوى) و(نشوى) ، هو أن أرسلنا إليها إشارة رقمية ،
تحمل الشفرة نفسها ، التى تعمل فور رصدها للحرارة ، لذا فهى ،
وعلى نحو رقمى بحت ، تلتقط ما يبدو لها أشبه ببث حرارى
مرتفع ، من مساحة واسعة من الأطلال ، وهذا يشغل مساحة
ذاكرتها كلها ، حتى إنها عاجزة الآن عن رصد أى شىء آخر .

قال (هاشم) فى انبهار :

— ألهذا نواصل مسيرتنا ، على الرغم من غروب الشمس !؟

أجابته (رمزى) :

— كلنا مرهقون للغاية يا رجل ، ولكنها فرصة مثالية ، من
الخطأ أن نضيعها .

تدخل (أكرم) ، قائلاً فى توتر :

— السؤال هنا هو : متى سنبلغ ذلك الحاجز ، لو واصلنا قطع
الأطلال ، فى قلب الظلام .

مطّ (هاشم) شفّته ، وقال فى حذر :

— مع مطلع الشمس على الأرجح .

تتم (أكرم) فى توتر :

— عظيم .

كان (نور) صامتاً خلال محادثتهما ، يتطلّع إلى السماء فى
انتباه ، حتى سأله زوجته (سلوى) فى خفوت :

— ماذا يشغلك إلى هذا الحد يا (نور) !؟

صمت (نور) لحظات أخرى ، مواصلاً تحديقه فى السماء ،
قبل أن يشير بسبّابته إلى أعلى ، مجيباً :

— النجوم .

رفعت عينيها إلى السماء بحركة غريزية ، وهى تسأله فى
قلق :

— ماذا عنها !؟

تردد لحظة ، قبل أن يتوقف ، قائلاً :

— ربما أكون مخطئاً ، ولكنني أحتاج إلى دليل ما .

سألته في قلق أكثر :

— أي دليل ؟!

لم يجب سؤالها ، وهو يسألها في انتباه :

— هل عثرتما ، داخل تلك الدودة العملاقة ، على آلة تصوير

رقمية ، من أي نوع ؟!

أجابته في سرعة :

— ليس داخل الدودة العملاقة ، ولكن ذلك الذئب أعطانا واحدة .

مذً (نور) يده إليها ، قائلاً في لهفة :

— أعطيني إياها .

التقطت من جيبها آلة تصوير رقمية صغيرة ، وقالت ، وهي

تناوله إياها :

— إنها ليست قوية ، ولكن ...

قاطعها في لهفة :

— لا ياس .

توقف الجميع يتطلعون إليه في اهتمام ، وهو يضغط زر تشغيل

آلة التصوير الرقمية ، ثم يضعها في عنابة على سطح مستو بقدر

الإمكان ، بحيث توجّهت عدستها إلى السماء ، فسأله (أكرم)

في توتر :

— هل تحاول التقاط صورة لعين الظلام ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

— بل للنجوم .

بدت الدهشة على وجوههم جميعًا ، قبل أن يقول (هاشم) ،

في شيء من العصبية :

— ربما يبدو هذا رومانسيًا ، ولكن في ظروف كهذه ..

قاطعها (نور) في صرامة :

— اصمت .

ارتفع حاجباه في دهشة مستنكرة ، وهو يطبق شفثيه بحركة

غريزية ، في حين لاذ الكل بالصمت التام ، وهم يحدقون في آلة

التصوير ، التي ظلَّ (نور) يراقبها في اهتمام ، لخمس دقائق

كاملة ، قبل أن يضغط زر إيقافها ، ثم يلتقطها ، ويدير أزرارها ،

ليشاهد الصورة التي التقطتها ، فمال بعضهم يطلع إليها بدوره ،

وشاهدوا التماعة عيني (نور) ، وهو يسألهم :

واحدة ؛ لذا ، فإذا ما حاولت التقاط صورة للنجوم ، عبر أسلوب التعريض الطويل ، الذى استخدمه أبى ، فهى تظهر أشبه بأقواس دائرية من الضوء ، ومن المستحيل أن تظهر كنقاط مضيئة ، إلا فى حالة واحدة .

أكمل (نور) عند هذه النقطة فى حزم :

— لو توقفت الأرض عن الدوران .

صعقتهم عبارته فى عنف ، فتراجعت (سلوى) بحركة حادة ، واتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ، واتفقت حاجبا (أكرم) فى شدة ، فى حين قال (هشام) فى عصبية :

— أى قول أحمق هذا ؟!

أشار (نور) إلى الكاميرا الرقمية ، قائلاً فى حزم :

— القول الذى أثبتته هذه الصورة يا رجل .. الأرض توقفت عملياً عن الدوران لسبب ما .

استمر ذهولهم المستنكر لحظات ، قبل أن تقول (نشوى) فى توتر :

— ولكن هناك استحالة فيزيائية أخرى لهذا .

التفت إليها (نور) ، يسألها :

— ماذا ترون ؟!

أجابته (رمزى) ، فى دهشة حذرة :

— النجوم .

سأله فى سرعة :

— فى أية هيئة تبدو ؟!

أجابته (نشوى) هذه المرة ، فى اهتمام بالغ :

— على هيئة نقاط صغيرة مضيئة ، و ...

ثم شهقت فجأة ، ورفعت عينيها إليه ، هاتفة فى انفعال :

— وهذا مستحيل تماماً ؟!

هتف (نور) فى حماس ، وهو يلوح إليها بسبابته :

— بالضبط !

بدا (أكرم) عصبياً بحق ، وهو يهتف :

— هل يمكننا فهم سر استحالة هذه الصورة ؟!

كانت (نشوى) من التفتت إليه تجيبه ، وقد شملها انفعال جارف :

— وفقاً لأبسط قوانين الفيزياء ، فالأرض تدور حول نفسها ،

مرة كل أربع وعشرين ساعة ، ولا تتوقف عن الدوران لحظة

— من ناحية؟! —

أشارت بيديها ، مجيبة :

— اليوم مازال يستمر على نحو عادى جداً ، فنحن نشهد طلوع الشمس ، وعبورها السماء ، وحتى مغيبها خلف الأطلال ، وهذا يستحيل أن يحدث إلا لو كانت الأرض تواصل دوراتها ، على نحو طبيعى .

غمغمت (سلوى) ، وقد حيرها هذا التناقض :

— هذا صحيح .

قال (هاشم) فى حذر :

— ربما كما هذا يعنى أن نظريتك خاطئة أيها الأسطورة !

زمجر (أكرم) ، قائلاً فى صرامة :

— استنتاجات (نور) دوماً صحيحة .

قال (هاشم) فى حدة :

— جل من لا يخطئ .

أجابته (نور) فى حزم :

— ونعم بالله .

فقال (هاشم) ، معقّباً فى سرعة :

— إن فنظريتك خاطئة .

أجابته (نور) فى حزم أكثر :

— كلاً ، ولكن هناك تفسير حتماً ، لهذا التناقض الفيزيائى .

غمغمت (سلوى) ، وهى تتلفت حولها ، فى توتر شامل :

— أمور عديدة فى هذا الزمن ، تحتاج إلى التفسير

يا (نور) ، وتتناقض مع كل ما عرفناه .

أشار بيده ، قائلاً :

— فى المعتاد ، يكون هناك تفسير واحد ، لكل تلك

القوامض .. تفسير يجيب عنها جميعاً ، ويجعلها ، نسبة إليه ،

منطقية تماماً ، وقابلة للفهم .

سأله (رمزى) :

— ومتى يمكن أن نجد هذا التفسير!؟

أجابته (نور) فى سرعة :

والتقط نفساً عميقاً ، ليضيف :

— عند ذلك الحاجز .. (كوباء) ..

أجابته (طارق) فى خفوت :

— كلاً بالطبع .

ثم استدرك فى صرامة :

— ولكننى واثق من أنه يقول الحقيقة .

لَوْح (محمود) الصغير بيده فى وجهه ، هاتفاً فى غضب :

— وكيف يمكنك أن تتق فى هذا؟! .. لم لا تكون خدعة أخرى للتخلص منا ، ونحن محبوسون هنا كالفران .

قال (طارق) الصغير فى ضيق :

— لو أن هذا هدفة لقطعها هناك ، فى ذلك المنزل الآمن ، أو حتى داخل ذلك الممر دامس الظلام ، الذى سرنا فيه معاً ، ولكنه لم يفعل .

هتف (محمود) الصغير :

— وماذا لو ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتجّ المخبأ كله فى عنف مباغت ، جعل ثلاثتهم يهبون من أماكنهم ، ويستلون أسلحتهم ، و(طارق) الصغير يهتف :

— ما هذا بالضبط؟!!

تلقت (طارق) حوله فى توتر ، وهو يشهر سلاحه فى وضع التحفز ، قائلاً :

ودون اتفاق مسبق ، وعلى نحو متشابه تقريباً ، حبس الكل أنفاسهم ..

بكل توتر الدنيا ..

« لا .. لن أحتمل هذا .. »

هتف (محمود) الصغير بالعبرة ، فى عصبية شديدة ، وهو ينهض من مقعده بحركة حادة ، فأشار إليه (طارق) ، قائلاً فى صرامة :

— اجلس .

هتف به (محمود) الصغير فى حدة :

— ليس من حقك أن توجه أوامرك لى .. أنت شقيقى الأصغر فحسب .

قال (طارق) الصغير فى غضب :

— وأنا خالك ، فهل من حقى هذا .

نقل (محمود) الصغير عينيه بينهما فى عصبية ، ثم قال فى حدة :

— لماذا صدقتم ذلك الدُّب؟! .. ما أدرانا أنه يقول الحقيقة؟! ..

هل سنجلس صامتين هنا ، فقط لأنه رجائنا أن نفعل هذا؟!!

— لست أدري ، ولكنه يبدو مثل ...

مرة أخرى ، وقبل أن تكتمل العبارة ، ارتج المكان ..

وفى عنف أكثر هذه المرة ..

عنف ، كاد يختل معه توازنهم ، ويسقطون أرضاً ، حتى أن

(محمود) الصغير هتف فى عصبية شديدة :

— أرايتم !؟

مع نهاية هتافه ، طار أحد جدران المخبأ فجأة ، وبفرقة

قوية ، صمت آذانهم ، وجعلتهم يلقون أعينهم مرغمين ، مع

الرياح القوية العنيفة ، التى هبّت فى وجوههم ..

ثم فتحوا أعينهم ، فانتسعت عن آخرها ، فى مزيج من الذهول

والارتياح والاستنكار ..

فما كشف عنه ذلك الجدار المنهار ، كان أكثر أمر مرعب

رأوه فى حياتهم كلها ..

أمر جعلهم يتمنون لو أن الذب قد قتلهم بالفعل من قبل ..

فهو أمر يعنى أيضاً فناءهم ..

وعلى نحو بشع ..

إلى أقصى حد ..

ضحكة عجيبة ، تلك التى أطلقها الذنب ، بعد أن ألقى عبارته

الأخيرة المفزعة ، على مسامع الذب ، الذى حدّق فى دهشة ،

تكاد تبلغ حد الذهول ، وهو يقول :

— ماذا تعنى بالعدم !؟

أشار الذنب بذراعيه ، هاتفاً فى لهجة عجيبة ، أفلقت الذب

بشدة :

— العدم يا رجل .. الفراغ .. اللا شيء .. ذلك المخبأ ، الذى

قدتتم إليه ، والذى تصوّرت أنه سيحميهم ، هو الباب إلى أكبر

وأخطر شيء ، يمكن أن يواجهه بشر .. إنه الباب إلى الجحيم ..

جحيم لم يأت ذكره فى أية كتب سماوية ..

انعقد حاجبا الذب الكئيب ، وهو يقول فى عصبية :

— لم أفهم .

هتف به الذب ، وعيناه تلتمعان فى وحشية :

— إنه مكان حيث يتوقّف كل شيء .. الزمن والتاريخ والأمل

والمستقبل .. مكان يمكن أن تحيا فيه لآلاف القرون ، دون أن

يكبر عمرك لحظة واحدة ..

عاد يطلق ضحكة أخرى أكثر وحشية ، قبل أن يضيف ،

والتماعه عينيه تتضاعف ، على نحو مخيف :

– هل رأيت مصيراً أشنع من هذا؟!

سمعت (مشيرة) ذلك الحوار فى سجنها ، فاتسعت عيناها ،
وهى تغمغم فى رعب :

– يا للوحشية !!.. يا للسادية الوحشية !!..

أما الذئب ، فقد تراجع فى توتر بالغ ، واتعقد حاجباه الكئنان فى
شدة ، وهو يحنق فيه بدهشة مستنكرة ، قبل أن يقول فى عصبية :
– من أنت؟!

التفت إليه الذئب بحركة حادة ، ورماه بنظرة نارية ملتهبة ،
وهو يقول :

– ماذا دهالك يا رجل؟!.. ألا تعرف من أنا؟!

أجابه الذئب ، فى صرامة غاضبة عصبية :

– كلاً .. لست أعرف من أنت !

واجهه الذئب فى ثورة ، قائلاً :

– أنا الذئب .. زعيم زعماء المقاومة .

قال الذئب فى عصبية ، وهو يسحب خنجره :

– لا .. لست هو .. لست الرجل الذى عرفته منذ سنوات طوال .

زمجر الذئب فى وحشية ، وهو يقول :

– هل تجرؤ على مواجهتى ، ورفع خنجرك فى وجهى؟!

اتقضض عليه الذئب ، صارخاً :

– أجل .

وانطلقت زمجرة عالية رهيبة فى المكان ..

زمجر ذئب ..

حقيقى ..

مفترس ..

جداً ..

8 - أنياب الخطر ..

بكل رعب الدنيا ، راح الدكتور (راشد) يتلّفث حوله ، محاولاً
رؤية شيء ما ، فى قلب العدم ..

أى شيء ..

كان نلك الظلام الدامس الرهيب ، يحيط به من كل جانب ،
وعلى الرغم من هذا ، وعلى الرغم من تعارضه مع كل قواعد
الفيزياء ، كان يرى القائد الأعلى فى وضوح ، ويستطيع رؤية
أجزاء جسده هو ، التى تقع فى نطاق رؤيته ، ولكن فيما عدا هذا ،
وفيما يخص كل ما حولهما بلا استثناء ، كان هناك ظلام ..

ظلام دامس ..

مخيف ..

رهيب ..

أو هو ليس ظلاماً بالمعنى المعروف ..

إنه العدم ..

شئ لم يره بشر من قبل .. وهو على قيد الحياة على الأكل ..

وفى لهجة خاصة ، تجمع ما بين الظفر والصرامة والشماتة ،
قال القائد الأعلى ، وهو يتلّع إلى عيني الدكتور (راشد) مباشرة :

— أهدا كل ما رأيته !؟

انحسبت الكلمات فى حلق الدكتور (راشد) ، واتسعت عيناه
فى رعب ، فاكفى بإيماءة رأس ، جعلت القائد الأعلى يتراجع ،
وهو يقول بنفس اللهجة :

— هذا يعنى أنك لم تر شيئاً بعد .

ثم مرّ يده على الهواء ، أو على العدم ، فبرز إثر تمريرته
جسم آخر ..

جسم أشبه فى تكوينه بالبشر ..

ولكنه ليس بشرياً ..

على الإطلاق ..

وعلى الرغم من أنه لم يلتق به فى حياته من قبل قط ، وعلى
الرغم من أن معرفته به لا تتعدى ما قرأه عنه ، وما استخدمه
العلماء ، فى محاولة صنع نموذج مطابق له ، إلا أنه تعرّفه فور
رؤيته ..

تعرّفه بوجهه الأخضر ، وعينه الحمر وبين بلون الدم ، ورأسه
الأصلع المميز ..

غمغم الدكتور (راشد) ، وصوته يزداد تحشرجاً :

— ولكنه لا يطيع سوى صوت (نور) .

تجاوز القائد الأعلى العبارة ، وتجاهلها تماماً ، وهو يقول :

— من أهم قدراته الخارقة ، أنه يستطيع القيام برحلة مذهلة ، عبر الزمان والمكان .

اتسعت عينا الدكتور (راشد) فى ذهول ، فتابع القائد الأعلى فى صرامة :

— ولكن تلك الرحلة ستستهلك كل طاقته ، وخاصة لو أنه يحمل فى رحلته كائناً آخر .

بدا صوت الدكتور (راشد) خافتاً عجبياً ، وهو يسأل فى اتفعال :

— أتعنى أنه يستطيع أن يحمل بشرياً ، فى رحلة عبر الزمان والمكان ؟

رفع القائد الأعلى سبأته أمام وجهه ، وهو يجيب فى حزم :

— يستطيع أن يحمل كائناً واحداً ، فى رحلة واحدة ، وبعدها سيفقد كل طاقته ، حتى آخر قطرة منها ، وإما أن يتحول عندئذ إلى تمثال جامد من معدن لا يقهر ، أو يعمل نظام الأمن الخاص داخله ، فور نفاذ طاقته ، ليفنى ذلك الجسد المعدنى الآلى ، حتى لا يقع فى يد قوة أخرى ، تسيئ استغلاله .

(س — 18) ..

ذلك المقاتل الأطلنطى الآلى ، الذى ارتبط اسمه طويلاً ، باسم (نور) وفريقه ، فى العديد من مغامراتهم (*) ..

كان يقف هناك .. فى قلب العدم ، غامضاً كعادته ، جامداً كآليته ، صامتاً كالعدم المحيط به ..

وفى برود مخيف ، أشار إليه القائد الأعلى ، قائلاً :

— هل تعرفته ؟!

غمغم الدكتور (راشد) ، فى صوت مبحوح متحشرج .

(س — 18) ..

مال نحوه مرة أخرى ، يسأله :

— هل تعرف ما الذى يمكن أن يفعله (س — 18) ؟!

بح صوته أكثر ، وهو يجيب :

— الكثير .

أشار القائد الأعلى إلى (س — 18) مرة أخرى ، قائلاً :

— قدراته تتحدى كل ما وصل إليه العلم وبلغته التكنولوجيا فى هذا العصر .. قدرات هائلة ، تتجاوز كل ما يمكنك التفكير فيه .

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) ... المغامرة رقم (47) .

غمغم الدكتور (راشد) ، وقد كاد صوته ينهار :

— أتعنى إعادة شحنه واستغلاله !؟

صمت القائد الأعلى لحظات ، قبل أن يجيب في بطء ، وهو يعاود النظر إلى عيني الدكتور (راشد) مباشرة وكأنما يرصد رد فعله :

— حتى الآن ، لا توجد وسيلة معروفة لهذا .. حتى نحن ، لا نملك الطاقة الكافية لإعادة شحنه .

ضغط عمدًا حروف (نحن) هذه ، وهو يواصل التطلع إلى عيني الرجل ، اللتين اتسعتا عن آخرهما ، وهو يقول :

— أنتم !؟

مررًا القائد الأعلى يده مرة أخرى على العدم ، فظهرت من خلفه عدة أجساد أخرى ..

أجساد لم يكذبها الدكتور (راشد) يراها ، حتى أطلق شهقة رعب قوية ، وهو يرتد في عنف كالمصعوق ..

فقد كان ما رآه رهيبًا ..

بشعًا ..

إلى أقصى حد ..

انقضاضة رهيبية ، تلك التي انقضت بها الدُّب على الذئب ..

وزمجرة مخيفة ، تلك التي أطلقها الذئب ..

وصرخة مدوية ، تلك التي أطلقتها (مشيرة) ، عند سماعها ما حدث ..

لم تكن ترى ما يحدث ، ولكنها كانت تسمع أصوات القتال العنيفة ، ونباح ذلك الكلب الأصفر ..

وفى أقصى ركن من محبسها ، انزوت منكشمة في رعب ..

فقد كان من الواضح أن القتال عنيف ..

إلى أقصى حد ..

كان الدُّب شديد القوة والضخامة ، بالغ الغضب والانفعال ، ويحمل خنجرًا ماضيًا ، مما يوحي بأن نتيجة المعركة محسومة مسبقًا ..

ولكن الذئب ، على الرغم من فارق الحجم الملحوظ ، بينه وبين الدُّب ، لم يكن بالمقاتل الهين ..

لقد كان يجيد مهارات قتالية يدوية خاصة ، تم تطويرها عبر الزمن ، ولا تنبالي تقنياتهما بفارق الحجم أو القوة ..

فمع انقضاضة الدُّب ، أطلق الذئب

نفسه في رشاقة مذهلة ، منحنيًا في الوقت ذاته ، بحيث هوى خنجر الدب في الفراغ ، وانثنى جسده الضخم على ظهر الذئب ، الذي اعتدل بحركة سريعة ، وأمسك ذراعه ، وأدارها في حرفية ، فوجد الدب نفسه يطير في الهواء ، على الرغم من جسد الضخم ، ويرتطم بالجدار بمنتهى العنف ..

وعلى الرغم من آلام عظامه ، نهض في سرعة ، وهو يقبض على خنجره في قوة ، ولكنه فوجئ بالذئب يثب نحوه ، وشعر بقدميه تضرباته في وجهه بمنتهى العنف ، فاصطدم رأسه بالجدار مرة أخرى ، وأفلت مقبض خنجره ، على الرغم منه ، وعندما مد يده محاولاً التقاطه ، وجد نصله على عنقه ، وشعر بيد الذئب اليسرى تجذب شعره في قوة ، ليجبر رأسه على التراجع ، وبيده اليمنى تكاد تغرس نصل الخنجر في عنقه ، وبصوته الصارم يقول :

— رسميًا ، يمكنني اعتبار ما فعلته خيانة عظمى ، وفقًا لقانون المقاومة .

ثم التمعت عيناه ، وهو يضيف في قسوة :

— وهذا يمنحني الحق في قتلك .

كان يضغط نصل الخنجر على عنقه بالفعل ، حتى بدأ عنقه يدمى ، وأيقن الدب من أنها النهاية ..

ولكن فجأة ، زجر الكلب الأصفر في غضب ..

ثم انقضَّ على الذئب ..

كان يحمى صاحبه ، الذي أطعمه وسقاه ، وحماه وضمه إلى صدره ..

وكانت انقضاضته مباغتة تمامًا ..

انقضَّ على معصم الذئب ؛ ليمنعه من ذبح الدب ، بخنجر هذا الأخير ، فأطلق الذئب شهقة قوية ، وتراجع مشتبكًا مع الكلب ، ومافعًا عن نفسه ضد أنيابه ومخالبه ، مما أعطى الدب الفرصة ليقفز واقفًا ، وينقض على الذئب بدوره ، وهو يهتف في تأثر :

— لقد أنقذني .. لقد جازف من أجلى .

لم يكن بوسع الذئب ، مهما بلغت مهارته ، أن يواجه الاثنين في آن واحد ، لذا فسرعان ما انتزع منه الدب الخنجر ، وهو يهتف في ظفر :

— خسرت أيها الذئب .

صرخ الذئب ، وهو ما زال يقاوم أنياب ومخالب الكلب :

— ابعد هذا الشيء عني .

أمسك الذئب كلبه ، وقال له فى حنان عجيب ، لا يتفق مع الموقف كله :

— كفى يا صديقى .. كفى .

توقّف الكلب فجأة ، وكأنما أطاعه مباشرة ، وتراجع بضع خطوات إلى الخلف ، وهو يطلق زمجرات قصيرة متقطعة متحفزة ، فرمقه الذئب بنظرة بغض قاسية ، قبل أن يلتفت إلى الذئب ، قائلاً فى غضب :

— ما زال هذا يعدّ خيانه عظمى فى قانوننا .

قال الذئب ، قائلاً فى غضب عصبى :

— وماذا عما فعلته أنت ؟!.. ألم تهّم بقتلى منذ لحظات ؟!

نهض الذئب فى حذر ، وهو يقول :

— لو أننى أردت قتلك ، لما احتاج منى هذا إلا لسحبة خنجر

واحدة .. لقد كنت ادافع عن نفسى فحسب .. أنت هاجمت ، وأنا قاومت .. معادلة طبيعية للغاية .

أشار إليه الذئب ، هاتفاً فى غضب :

— لقد أصابك جنون السلطة ، وغلبتك شهوة السطوة ، فتخلصت

من الفهد والليث والتمساح فى البداية ، حتى يخلو لك الجو ، وتتفرد بالسلطة ، ثم حاولت بعدها إقناعى بالتخلص من الثعلب والحرباء ، ورجل أمن الحصن السابق .. أليست هذه خيانة ؟!

اتجه الذئب فى هدوء ، نحو براد صغير ، أخرج منه قئينة شراب ، صب منها الشراب فى كوبين ، وهو يقول :

— لماذا لم أمرك بقتلهم إذن ؟!.. بل ولماذا لم أحاول التخلص منك فى البداية ، واتهامك بأنك المسئول عن قتل الفهد والليث والتمساح ؟!.. أجب عن هذه الأسئلة فى أعماق أعناقك ، وستدرك أنك تنظر إلى الأمور من زاوية خاطئة .. خاطئة تماماً .

كان يولى ظهره للذئب ، الذى لم يرا تلك الزجاجاة الصغيرة ، التى أخرجها الذئب من جزء خفى فى كم سترته ، وأضاف منها قئرتين إلى أحد كوبيى الشراب ، قبل أن يعيدها إلى مخبأها ، ثم يلتقط الكوب ، ويستدير به إلى الذئب ، وهو يواصل :

— السياسة أمر شديد التعقيد يا صديقى ، ولكى تدافع عن الوطن ، وتعالى شأن (مصر) ، قد تضطرك الظروف إلى فعل ما لا ترضاه فى الظروف العادية ..

التقط الذئب الكوب فى حذر ، والذئب يرفع كوبه إلى شفطيه ، متابعاً :

— ثم إننا زعماء .. وفي قلب حرب طاحنة ، لاستعادة السيطرة على عالمنا ، وفي ظروف كهذه ، ولا بد وأن تنحى قلبك ومشاعرك ، وأحياناً كل مبدأ تؤمن به أيضاً ، من أجل أن تريح المعركة .

راقبه الذئب جيداً ، وهو يرتشف الشراب ، واطمأن قلبه كثيراً ، عندما شاهده يرتشف جرعة كبيرة منه ، وخاصة عندما أضاف الذئب في حماس كبير :

— من أجل (مصر) .

اخترقت عبارته الأخيرة قلب الذئب ، وفجرت فيه حماساً عجبياً ، جعله يرفع كوب الشراب إلى شفتيه ، هاتفاً :

— نعم .. من أجل (مصر) .

والتمعت عينا الذئب في شدة وظفر ..

فما هي إلا لحظات ، ويتحوّل الذئب الضخم ، إلى رضيع برئ ..

وينتهي زعيم آخر من زعماء المقاومة ..

إلى الأبد ..

بمنتهى الاهتمام والانتباه ، راقب (نور) قرص الشمس ، وهو يرتفع في بطء ، من خلف الأطلال ، فجلست (سلوى) بمنتهى الإرهاق على أول بقايا جدار وجدتها ، وهي تقول :

— ماذا أيضاً هذه المرة !؟

أشار إليها (نور) بالصمت ، ثم رفع آلة التصوير الرقمية ، وراح يلتقط الصور لقرص الشمس ، في تتابع بطئ ، جعل (نشوى) تقول :

— قرص الشمس يفسد الصور في المعتاد يا أباي .

قال في حزم :

— هذا لو أنه قرص الشمس .

عبارته هذه أدهشت الجميع ، فطلعوا بنظرة واحدة إلى قرص الشمس ، قبل أن يتسائل (أكرم) :

— ألا يبدو لك كذلك !؟

أجابته (نور) في هدوء :

— بلى .. إنه يبدو كذلك .

ثم التفت إليهم جميعًا ، مردفًا في حزم :

— ولكن ليس كل ما يلعب ذهبيًا .

قال (رمزي) في توتر :

— (نور) .. إنني عاجز عن فهمك هذه المرة .

ولوَّح (هاشم) بيده ، قائلاً :

— وأنا توقَّفت عن محاولة الفهم ، منذ مساء أمس .

لم يبال (نور) بتعليقاتهم ، وهو يناول الكاميرا لابنته قائلاً :

— قومي بتكبير هذه الصور وفحصها ، وأخبرينا بِمَ توحى إليك .

التقطت (نشوى) الكاميرا ، وأوصلتها بجهاز الكمبيوتر الصغير

معها ، وراحت تفحصها ، و(نور) يسأل (هاشم) :

— كم تبقى لنا ، حتى نصل إلى ذلك الحاجز .

أشار (هاشم) إلى نهاية الأطلال ، على مسافة مائة متر

فحسب ، وهو يجيب :

— ها هو ذا .

أداروا أعينهم إلى حيث يشير ، وهزَّت (سلوى) رأسها في

توتر ، وهي تقول في دهشة ، شاركتها فيها الجميع :

— لست أرى شيئًا .

قال (هاشم) في توتر عصبى :

— هذا هو سر قوته .. لا يمكنك أن تريه .. عند نهاية الأطلال

تمتد صحراء صخرية ، إلى مدى البصر ، وهذه الصحراء يمكنكم

رؤيتها ، ولكن لا يمكنكم أبدًا بلوغها ؛ لأن (كوباء) يفصلكم

عنها .. عندما تبلغونه ، سترتطمون به ، وستحاولون تجاوزه

بكل السبل ، ولكنكم لن تنجحوا أبدًا في هذا .

قال (أكرم) في صرامة :

— من وجهة نظرك فحسب .

بدا (هاشم) غاضبًا ، وهو يقول :

— لقد فعلت كل ما يمكنكم تصوُّره .. استخدمت القنابل ..

حفرت لستة أمتار تحت الأرض .. استعنت بجهاز ترددات بالغ

القوة ، وكل هذا لم يفلح أبدًا .

قالت (سلوى) ، وهي تعيد فحص أجهزتها للمرة الأخيرة :

— ربما لم تكن تملك ما نملكه ، من أجهزة وخبرة ..

رمقها بنظرة استهتار ، وقال :

أجابته (هاشم) فى اقتضاب عصبى :

— هذا صحيح .

التفتت إليه (سلوى) ، تسأله فى حيرة :

— لماذا هذا السؤال يا (نور) !؟

لاذ (نور) بالصمت لحظات ، ثم قال فى حزم :

— لأنه لدى نظرية عجيبة ، قد يكون فيها تفسير لكل هذا

الغموض ، الذى يحيط بكل شيء هنا .

سأله (رمزى) فى لهفة :

— أية نظرية هذه يا (نور) !؟

تطّلع (نور) إلى الأفق لحظات ، قبل أن يجيب :

— إنها نظرية مغرقة فى الخيال يا صديقى ، وشديد الغرابة

فى الوقت ذاته ، ثم أنها تثير فى نفسى الكثير من الخوف ، على

أرضنا التى عرفناها .

قال (أكرم) فى حذر متوتر :

— تقصد زمننا يا (نور) !؟

— مع احترامى لأجهزتك وخبرتك يا سيّدتى ، فهى تعود إلى عصر سابق .. عصر يتعبه علماء الحصن أشبه بعصر القاطرة البخارية ، بالنسبة لما توصلوا إليه هنا .

قال (رمزى) فى حسم :

— هذا لا يمنع من أننا قد نجحنا فى خداعهم ، وهزيمة تكنولوجيتهم ، والفرار من حصنهم ، على الرغم من الفارق الزمنى ، بيننا وبينهم .

قال (هاشم) فى إصرار :

— ولكنهم استخدموا كل تكنولوجيتهم ، فى محاولة لاختراق ذلك الحاجز ، ولم يمكنهم هذا .

استدار إليه (نور) ، يسأله فى اهتمام :

— كانوا يحاولون اختباره فحسب ، أم اختراقه بالفعل .

صمت (هاشم) لحظات ، وكأنما صدمه السؤال ، ثم لم يلبث أن قال فى توتر شديد :

— أخبرونا أنهم يختبرونه ، ولكن الواقع أنهم كانوا يحاولون اختراقه .

مال (نور) نحوه ، قائلاً :

— لأنهم لا يعلمون بالفعل ماذا يدور خلفه .

هذه الخطوط الأفقية في الصورة ، ليست خاصة بخلايا الكاميرا الطبيعية ، إنها خطوط خاصة بالشمس نفسها .

تساءل (أكرم) ، في حيرة حذرة :

— وهل تحوى شمسنا على خطوط ما ؟!

هزّت (نشوى) رأسها نفيًا ، وهي تقول :

— كلاً بالطبع .. شمسنا هي نجم متوسط الحجم ، يتكوّن سطحه من غازات ملتهبة ، أما ما نراه هنا تصوير هولوجرامى لها ، مزوّد بإضاءة صناعية ، ومصدر حرارى مقتعل ، حتى تبدو وكأنها الشمس التى نعرفها .

هبط قولها عليهم كالصاعقة ، وأجم ألسنتهم فى حلوّهم ، مع مقدار هائل من الذهول والاستنكار ، باستثناء (نور) ، الذى هزّ رأسه متفهّمًا ، وهو يهتف ، قائلاً فى حزم :

— هذا يتفق مع نظريتي .

أمسكته (سلوى) من ذراعه ، وهي تهتف فى توتر :

— (نور) .. حان الوقت لتشرح لنا نظريتك .

أجابها فى حزم أكثر :

هزّ رأسه نفيًا فى بضع ، وتطلّع إلى الأفق لحظة أخرى ، قبل أن يقول فى إصرار :

— بل أرضنا .

كان (رمزي) و(هاشم) و(سلوى) يهمون بإلقاء سؤال فضولى قلق ، عندما قطعت (نشوى) سؤالهم ، وكنتمه فى أعماقهم وحلوّهم ، وهي تقول :

— رباہ .. كنت على حق يا أبى .

التفت الجميع إليها فى لهفة ، و(نور) يسألها فى اهتمام :

— أكان ما توقّعتة صحيحًا ؟!

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

— إنها ليست الشمس التى نعرفها .

اتسعت عيون الجميع فى دهشة مذعورة ، وهتف (هاشم) مستنكرًا :

— ليست ماذا ؟!

التفتت إليه فى توتر ، مجيبة :

— انظروا إلى الصورة ، عندما قمت بتكبيرها مائة مرة ..

— ليس بعد يا عزيزتي .. ليس بعد .. عندما نبليغ ذلك الحاجز ،
ونجد سبيلاً لعبوره ، ساجد الدليل على نظرتي ، وعندئذ ...
لم يكمل عبارته ، وهو يتحرك مكملاً مسيرتهم ، فهتف (هاشم)
في عصبية :

— هل سيحتفظ بنظريته لنفسه !؟

قال (أكرم) في صرامة ، وهو يتبع (نور) :

— اصمت .

واصلوا سيرهم ، وتجاوزا منطقة الأطلال ، وتلفتت (سلوى)
حولها ، وهي تقول في توتر :

— مازلت لا أرى ذلك الحاجز ، الذي ..

قبل أن تكمل عبارتها ، ارتطمت فجأة بشيء ما ..

شيء مخملي ..

صلب ..

خفي ..

شيء جعلها ترتد مذعورة ، وهي تهتف :

— مستحيل !

توقّف الكل دفعةً واحدةً في الأفعال ، وتقدّم (نور) نحو
(سلوى) ، ومدّ يده يتحسّس ذلك الحاجز في حذر ، وهو يعقد
حاجبيه ، قائلاً :

— تماماً كما وصفته (مشيرة) ... مخملي وصلب في الوقت
ذاته .

تقدّمت (نشوى) تلمس الحاجز بدورها ، وتقول في دهشة :

— عجيب أن يتفق هذا وذاك .

تقدّم (رمزي) و(أكرم) بدوريهما يتحسّسان ذلك الجدار الخفي ،
في دهشة وحذر ، في حين بقي (هاشم) في مكاته ، وهو يقول :

— إنه ليس مخملياً كما تظنون ، إنها تردداته الفائقة للغاية ،
التي تمنحك ذلك الشعور الزائف بمخملتيه .

التفت إليه (نور) لحظة ، ثم قال لزوجته :

— (سلوى) ، لو أنه يحوي ترددات فائقة ، فأنت الشخص
المناسب للتعامل معه .

أشارت (نشوى) بيدها ، قائلة :

— وأنا أيضاً .

هزاً (هاشم) رأسه نقيًا في قوّة ، وهو يقول :

— لن يجدى هذا .

أجابه (نور) في صرامة :

— ربما .. ولكننا لم نعقد الاستسلام بهذه البساطة .. سنحاول

حتى آخر رمق .. وبكل الوسائل .

وأدار عينيه إلى تلك الأجهزة ، التي أحضروها من الدودة الآلية

العملاقة ، وهو يضيف في حسم :

— حتى غير التقليدية منها .

وانعقد حاجبا (هاشم) في شدة :

فحديث (نور) ولهجته ، حملاً الكثير من الغموض ..

الكثير ..

جدًا ..

9- كوباء ..

بذل (هيثم) جهدًا خرافيًا ، ليخفي خوفه وتوتره في أعماقه ،

وهو يعبر ذلك الجزء المتموج من الجدار ، إلى حجرة القائد

الأعلى ، الذي استقبله في صرامة ، قائلاً :

— ماذا يحدث هنا بالضبط ؟!

أجابه (هيثم) ، في توتر واضطراب :

— أمور عديدة يا سيدي .. المنطقة القريبة من (كوباء) ،

يحيط بها انبعاث حرارى قوى ، لا يستطيع العلماء تفسيره ،

وتلك الاهتزازات ، من باطن الأرض تتواصل ، على نحو غير

مفهوم ، وأجهزتنا سجّلت فيضًا من الطاقة ، في بقعة من

الأطلال ، على مقربة من منطقة تمرکز المقاومة ، في نفس

الوقت الذى اختفى فيه الدكتور (راشد) تمامًا ، ولم يستجب

لأى نداء ، مما وجهناه إليه ، ولم نعثر له على أدنى أثر ، في

الحصن كله .

استمع إليه القائد الأعلى في اهتمام وانقياد ، ثم تجاهل كل

النقاط ، فيما عدا نقطة واحدة ، اعتدل رصانه وعشها في صرامة :

— ذلك الابعاث الحرارى غير المفهوم ، هل أتى من نفس البقعة ، التى اختفى عندها أثر (نور) وفريقه؟!

أجابه (هيثم) فى سرعة :

— أجل؟!

تراجع القائد الأعلى مفكرًا بضع لحظات ، قبل أن يعتدل فجأة ، قائلاً بلهجة أمرة صارمة :

— فليكن .. فى هذه الحالة ، استمع إلىّ جيدًا ، ونفذ ما سأمرّك به .. وبالحرف الواحد .

فى نفس اللحظة ، التى كان يلقى فيها أوامره ، كانت (سلوى) تهزّ رأسها نفيًا ، وهى تلتفت إلى (نور) ، قائلة :

— لا توجد وسيلة بالفعل يا (نور) .. تلك الترددات ، التى تصنع هذا الحاجز الواقى ، أقصر من أية ترددات عرفتها فى زمننا .

غمغم (هشام) :

— وحتى فى هذا الزمن .

رمقته (نشوى) بنظرة خاوية ، وقالت :

— إنها أقصر حتى من كل ما يمكن تحقيقه ، وفقًا لقوانين

الفيزياء .

غمغم (نور) ، مضيقًا :

— المعروفة فى أرضنا .

مرة أخرى ، التفت إليه الجميع ، وقال (أكرم) فى عصبية ، وهو يتحسّس مسدسه التقليدى بحركة متوترة :

— مازلت تثير فى نفوسنا خوفًا مبهمًا يا (نور) .

قال (نور) فى لهجة ، لا تقلّ غموضًا عما يقوله ، طوال الدقائق الماضية :

— ماذا عن الحقيقة إذن يا صديقى؟!

سحب (أكرم) مسدسه فى عصبية ، وهو يقول :

— على الأقلّ ، الحقيقة يمكن مواجهتها .

قال (هاشم) فى سخرية :

— ليس بمسدسك .

رفع (أكرم) مسدسه ، وأطلق منه رصاصة ، فى حركة غريزية غاضبة ، نحو ذلك الحاجز الخفى ، وهو يقول فى حدة :

— من يدرى .

دوى صوت الرصاصة ، على نحو كاد الجميع يعترضون معه على ما فعله ، لولا أن اتسعت عيونهم جميعاً ، مع ما حدث فى اللحظة نفسها ..

لقد اخترقت رصاصة (أكرم) ذلك الحاجز ، وصنعت فيه مجموعة من الدوائر ، ذات المركز الواحد ، كما لو أنها بحيرة صغيرة من المياه ، سقط فيها حجر .. وخلال ثانيتين فحسب ، اختفت تلك الدوائر ، واختفى معها الحاجز ..

والأعجب أن رصاصة (أكرم) أيضاً ... اختفت ..

وفى زهول ، حدق الجميع فى البقعة ، التى حدث فيها ذلك التأثير ، قبل أن تقول (نشوى) لاهثة ، من فرط الانفعال :

— لقد اخترقتها .

هتف (هاشم) فى حماس شديد ، وهو يربت على ظهر (أكرم) فى قوة :

— فعلتها يا رجل .. فعلتها .

بدا (أكرم) أكثرهم زهولاً ، وهو يحدق فى مسدسه ، مغمضاً :

— حقاً ؟!

هتف (رمزى) فى حماس :

— ماذا لو أطلق (أكرم) عليه عدة رصاصات !؟

هز (نور) رأسه نفيماً ، وهو يقول فى حزم :

— لست أظن هذا ... اختراق رصاصة (أكرم) للحاجز ، يحمل دلالات أخرى ، يمكننا الإفادة منها .

وافقته (سلوى) ، وهى تقول فى حماس :

— الرصاصة جسم معدنى .

أضافت (نشوى) :

— وتنطلق بسرعة فائقة .

أشار (رمزى) بسبأبته ، مكملاً :

— ونحو نقطة بعينها .

التقط (نور) نفساً عميقاً ، وهو يقول :

— بالضبط .. السؤال الآن هو : ماذا لو وضعنا جسداً بشرياً ،

داخل أسطوانة معدنية ، ويمكننا إطلاقها بنفس سرعة

الرصاصة ، وفى اتجاه أفقى ، نحو ذلك الحاجز لثقى مباشرة !؟

تردّدت (نشوى) ، وهى تقول :

— لا يمكننا الجزم بالنتائج ، لأننا ما زلنا نجهل الكثير ، عن
طبيعة هذا الحاجز ..

قالت (سلوى) مضيفة ، فى قلق ملحوظ :

— وهذا محفوف بالكثير من المخاطر .

قال (نور) فى حزم :

— وكذلك وجودنا هنا .

ثم التفت إلى ما أحضروه من أجهزة ، مستطرذا بلهجة
أمرية :

— لو استخدمنا هذه الأشياء ، وأمكنا صنع جسم أسطوانى
منها ، فقد نستطيع صنع الأسطوانة المطلوبة ؛ لاختراق هذا
الحاجز .

قال (رمزى) فى خفوت :

— هذا لو وجدنا الطاقة الكافية .

أجابت (نشوى) فى سرعة :

— يمكننى استخدام مصدر الطاقة ، الذى استخرجناه من تلك
الدودة العملاقة ، لتأمين طاقة كافية .

وشحب صوتها مع وجهها ، وهى تكمل :

— لانتلاقة واحدة .

أوماً (نور) برأسه متفهماً ، وهو يقول :

— إنها تكفى .

ثم صفق بكفيه ، مضيقاً فى لهجة قائد :

— فلنبدأ العمل إذن .

قالت (سلوى) فى توتر :

— هذا يعنى أن نفقد كل ما لدينا من أجهزة ، ومصدر للطاقة !

أجابها فى حزم :

— إنها لم تفدنا .. أليس كذلك !؟

حار سؤال على شفيتها لحظات ، وهى تكتمه فى خوف ، قبل

أن تطلقه إلى شفيتها ، لتقول فى انفعال :

— (نور) .. لعلك لا تفكر فى ...

قاطعها وهو يشيح بوجه عنها ، ملتفتاً إلى (أكرم) ، ومشيراً

إليه ، قائلاً :

— (أكرم) .. أريد التحدّث إليك قليلاً ، بينما يقوم الآخرون بعملهم .

أوماً (أكرم) إيجاباً دون مناقشة ، وتبعه إلى البقعة التي اختارها ، والتي ستحببها حتماً عن أنظار الآخرين ، في حين أشارت (سلوى) إلى (رمزي) و (هاشم) ، قائلة في عصبية واضحة :

— انضموا إلينا .. سنحتاج إلى العديد من الأيدي ؛ لإتمام هذا العمل ، بالسرعة اللازمة .

اتجه إليها (رمزي) مسرعاً ، في حين تباطأ (هاشم) عمداً ، وهو ينظر إلى حيث اختفى (نور) و (أكرم) ، وكل ذرة في كيانه تتساعل : فيم يتحدثان؟! فيم؟!..

« إنهم ليسوا بشراً ! »

هتف (محمود) بالعبرة في عصبية ، وهو يسبح ، مع شقيقه وخاله ، في ذلك العدم الرهيب ، فقال (طارق) الصغير في توتر شديد :

— تكوينهم يشبه تكويننا الجسدى إلى حد كبير .

قال (طارق) في خفوت ، حمل الكثير من الانفعالات :

— ولكن الوجوه .. هل رأيت كيف تبدو وجوههم؟!

أجابه الدكتور (راشد) ، بصوت مرتجف :

— إنها بشعة !

صمت لحظة ، وكأنه سيكتفى بهذا القول ، إلا أنه لم يلبث أن أضاف ، في صوت أكثر ارتجافاً :

— زرقاء شاحبة ، ذات عيون واسعة ، وأنياب بارزة ، وآذان نفوية .. تماماً كوجوه أولئك الموتى الأحياء ، الذين كنا نشاهدهم ، في أفلام السينما الأمريكية القديمة .

ارتجف صوت (طارق) الصغير بشدة ، وهو يقول :

— اتعنى أنهم ... سيلتهموننا؟!

قال (طارق) الكبير في توتر ، وهو يتلفت حوله ، محاولاً اختراق ذلك الظلام الدامس الرهيب :

— أخشى ما هو أسوأ يا صديقى .

وصمت لحظة ، انتبه خلالها الجميع له ، قبل أن يردف ، وقد تضاعف توتره :

— أن يتكوننا هنا .. إلى الأبد .

قال (محمود) الصغير فى عصبية :

— إننى أفضل الموت .

قال الدكتور (راشد) فى مرارة :

— الموت يعدّ بمثابة جائزة ، لمن فى مثل موقفنا .

عاد (طارق) يتلفّت حوله ، وهو يقول :

— جدى (نور) كان يقول دومًا : إنه هناك سبيل للخروج ،

من أى موقف كان ، مهما بدا ذلك مستحيلًا .

أجابته الدكتور (راشد) فى بأس :

— هذا ينطبق على عالمنا .

قال (محمود) الصغير :

— ربما توجد قواعد لهذا العالم أيضًا .

هزّ الدكتور (راشد) رأسه نفيًا ، وقال :

— لن يمكنكِ نعرفتها ؛ لأن كل شيء هنا يخالف ما نعرفه فى

عالمنا .. إنها منطقة خارج الزمان والمكان ، ينفون فيها من

يشكلون خطرًا عليهم مثلنا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى مرارة :

— حتى (س — 18) ، احتجزوه هنا .

هتف (طارق) الصغير فى لهفة ، اشترك معه فيها الجميع :

— (س — 18) .. أتقصد ذلك الآلى الأطلنطى الفائق !؟

أجابته الدكتور (راشد) فى دهشة :

— بالطبع .. ألا ترونه حولكم .

لم يكن أحدكم يراه فى الواقع ..

حتى تلك اللحظة ..

فما أن ألقى الدكتور (راشد) سؤاله ، حتى بدا واضحًا لأعين

ثلاثتهم بغتة ، كما لو أن السؤال قد أضاء بصيرتهم دون إنذار ..

وفى لهفة وأمل ، هتف (محمود) الصغير :

— وفقًا لنا قائلته كتب التاريخ ، فوجود (س — 18) هنا قد

يعنى ...

قاطعه الدكتور (راشد) :

— لا تتشبّث بأمل زائف يا فتى .

قال (طارق) فى حزم :

— ولكن جدى أكد أن قدرات (س — 18) تتجاوز الخيال ، وقد نستطيع استخدامه ، ليحررنا من هذا العدم .

هزّ الدكتور (راشد) رأسه نفيًا ، وقال فى أسى :

— إنه لا يطيع سوى صوت (نور) .

قال (طارق) الصغير فى تردّد :

— ربما أستطيع تقليد صوت جدى ، أو ...

قاطعته الدكتور (راشد) فى توتر :

— مستحيل أن تخدع برنامج ذلك الآلى .. وفقًا لما قرأته عنه ، فهو قادر على تمييز الأصوات ، بنسبة خطأ تبلغ واحد كل مائة مليار ، وهذا يعنى أنه حتى أجهزة الكمبيوتر ، لا يمكنها خداعه فى هذا الشأن .

قال (محمود) الصغير فى بأس :

— هذا يعنى أن خروجنا من هنا مستحيل .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى تنأى إلى مسامعهم صوت تأوهات ، جعلتهم يتسمرون فى مكانهم ، لو أن هذا المصطلح يمكن استخدامه ، فى قلب العدم ، ثم لم يلبث (طارق) أن همس ، فى توتر شديد الحذر :

— هناك شخص آخر هنا .

وكما حدث مع (س — 18) ، لم يكذب يذكر هذا ، حتى ظهر ذلك الآخر ، وهو يطلق أمة ألم ثانية ، ويتلفت حوله فى زعر هائل ، جعله أشبه بطفل هائل الحجم ..

وبكل دهشته وانفعالاته ، هتف (محمود) الصغير :

— الذب !؟

وكانت بالفعل مفاجأة ..

مدهشة ..

جداً ..

قبل حدوث هذا بساعات قليلة ، كان الذب يرفع كوب الشراب إلى شفتيه ، ويهم بارتشافه ، وعندما رفع كلبه الأصفر عينيه إليه فى لهفة ، جعلته يخفض الكوب إليه ، وهو يقول :

• — إنه أكثر احتياجاً له منى .

اتعقد حاجبا الذب فى توتر ، وهو يقول فى عصبية :

— هل ستسقى شرابى للكلب !؟

ابتسم الذب ، وهو يربّط على رأس كلبه فى حنان ، والكلب

يلق الشراب فى لهفة ، وقال :

— ربما يتجاوز هذا حدود اللياقة ، ولكننى لا أستطيع مس الشراب وهو عطش .

حمل صوت الذئب كل غضبه وانفعالاته ، وهو يقول :

— هذا بالفعل يتجاوز كل الحدود .

رَبَّت الذئب على رأس كلبه مرة أخرى ، ثم اعتدل ، قائلاً :

— الآن ، وباعتبارنا زعيمين كما قلت ، المفترض أن تطلعنى على ما تنتويه ، بخطتك شديدة التعقيد هذه .

ظلّ بصر الذئب معلقاً بالكلب ، الذى يواصل لعق الشراب فى لهفة ، وقال محاولاً كظم غيظه :

— إنها ، كما قلت أنت شديدة التعقيد ، حتى أنك لن تستطيع استيعابها .

قال الذئب فى غضب :

— جربنى .

التقط الذئب كرة معدنية لامعة ، من أحد الأرفف البسيطة فى مخبأه ، وهو يقول :

— لقد أجريت تجربتى بالفعل .

ثم التفت إلى الذئب ، مستطرداً فى مقّت :

— وفشلت .

لم يفهم الذئب ما يعنيه ، فحاول أن يلقي سؤالاً استفسارياً ، و ... وفجأة ، أطلق كلبه عواءً عجيبيًا !!..

وعندما التفت إليه فى جزع ، كان الكلب يتلوى فى عنف ..

وعندما انحنى عليه فى لهفة ، انتفض الكلب المسكين فى عنف ..

وأمام عينيه المذعورتين ، بدا له وكأن كلبه ينكمش ..

وينكمش ..

وينكمش ..

وتراجع الذئب كالمصعوق ..

الكلب لم يكن ينكمش فعلياً ..

لقد كان يصغر !!..

كان يتحوّل ، فى لحظات قليلة ، من كلب ناضج ، إلى جرو صغير .

وفى ذهول ، حدّق الذئب فيما يحدث ، ثم أدار عينيه فى حركة

غاضبة إلى الذئب ، الذى كان يصوب إليه الكرة المعدنية ،

وهو يقول ؛ فى هدوء عجيب :

— كان المفترض أن يحدث هذا لك .

اشتعلت عينا الذئب غضباً ، وهو يندفع نحوه ، صارخاً :

— أيها الوغد الحقير ..

لم ير الذئب ما الذي فعله الذئب بتلك الكرة المعدنية اللامعة ..

ولكنه شعر به تماماً ..

شعر بصدمة قوية ، في جسده الضخم كله .

صدمة دفعته إلى الخلف ، وضربته بالجدار ، بأعنف وأقوى مما يمكنه احتماله ، حتى أنه شعر بعظام جسده كله تتفتت ، قبل أن يسقط مرتطمًا بالأرض ، وكأنه جوال من الأحجار الثقيلة ..

كان رأسه يدور في شدة ، ولكنه حاول النهوض ، وبدت له صورة الذئب متهزّة ، وهو يقترب منه في هدوء ، ويعيد تصويب تلك الكرة اللامعة إليه ، وهو يقول :

— من الواضح أنك قوى بحق .

وهنا جاءت الصدمة الثانية ..

وفي هذه المرة ، لم يستطع الذئب احتمالها ، فارتطم رأسه بالأرض في قوة ، مع انتفاضة جسده العنيفة ..

وأظلمت الدنيا بعدها تماماً ..

وفي هدوء ظافر ، وقف الذئب يتطلع إلى الذئب الفاقد الوعي ، قبل أن يقول ، وعيناه تلتمعان في شدة :

— لا أحد يمكنه هزيمة الذئب يا رجل .. لا أحد .

قالها ، واستدار في هدوء ، إلى جدار جانبي ، اتجه إليه ، وضغط ركنًا خفيًا ، فتحرك الجدار كله ، وانزاح كاشفًا تلك الفجوة ، التي يحتفظ فيها بـ (مشيرة) ، والتي تراجعت في خوف ، ثم أطلقت شهقة فزع ، عندما وقع بصرها على الذئب الملقى أرضًا ، والجرو الأصفر الصغير ، الذي يدور حوله مذعورًا ، ويلق وجهه محاولاً إيقاظه ، وشحب صوتها مع وجهها في شدة ، وهي تقول :

— هل .. هل قتلته !؟

مطّ شفتيه ، قائلاً :

ليس بعد ... ربما أذخر له مصيرًا أسوأ ..

— ابتسم في تشف مبتهج ، وكأنما يملأ الحديث عن السوء نفسه

بالمتعة ، فسألته (مشيرة) في خوف :

— وماذا عنى !؟

صمت لحظة ، قبل أن يجيب في صراخه :

— هذا يتوقَّف عليك .

قالت في عصبية :

— لا أستطيع خيانة الفريق .

هزُّ كتفيه في لا مبالاة ، قائلاً :

— سيقضون نحبيهم في كل الأحوال .

قالت في حدة :

— هذا ما تتمناه .

أشار بسبابته قائلاً :

— بل ما أصبحوا متأكدين منه هناك .

وأمال سبابته نحو الخارج ، مستطرداً ، في لهجة ظافرة :

— في الحصن .

حدقت فيه بذهول مذعور ، وهي تهتف :

— رياه ...! هل تخون المقاومة؟!.. هل تعمل لحساب الحصن؟!..

نظر إليها لحظة في دهشة ، قبل أن يطلق ضحكة مجلجلة ، قائلاً :

— بل الحصن يعمل لحسابي .

قالت مستنكرة :

— لحسابك أنت؟!..

تراجع قليلاً ، وكأنما يفسح لها السبيل للخروج ، وهو يقول في زهو :

— أحد كبار قادتهم عين لنا ، وهو يبلغنا ما يحدث ، أولاً بأول .

سألته في دهشة وحذر :

من منهم بالضبط !!

لم يجب سؤالها ، وهو يكمل :

— هو من أخبرني بعودتكم ، وهو من يبلغني تطورات الموقف أولاً بأول ، وهو نفسه من أخبرني أنه تم رصد موقع الفريق ، عند (كوباء) ، وأن دورية خاصة في طريقها إلى هناك ، مع مركبة جوية ، للقضاء عليهم جميعاً .

ارتجف قلبها لقوله ، وكادت تصرخ فرغاً وألماً ، وهي تتخيل (أكرم) جثة هامدة ، بين تلك الأطلال ، ولكن كرامتها أبت عليها أن تطلق صرختها ، تماماً كما أبت على دموعها أن تغرق وجهها ، وهي تقول :

— يمكنهم أن يحاولوا .

شعور لم يتوقَّعه هو قط ..

شعور بأن (أكرم) هو الشخص الوحيد فى الكون كله ، الذى لم ير أية علامات تقدَّم فى السن على وجهها ..

الوحيد الذى يراها شابة ، جميلة ، نضرة ، طوال الوقت ..

هذا لأنه لا يراها بعيون رجل ..

بل بعيون حبيب ..

حبيب لن يغفر لها أبداً ، لو فكرت مجرد تفكير ، فى خيطة رفاقه ..

حبيب جعل جسدها كله ينتفض فى حزم وصرامة وتفعل جارف ،

وهى تقول فى تحد :

— كلاً .

تراجع بحركة حادة ، واتسعت عيناه فى شدة ، وهو يردُّ غير

مصدِّق :

— كلاً؟!!

نهضت قائلة فى حزم :

— نعم كلاً وألف كلاً .. لن أخون (نور) وفريقه ، حتى

لو منحتنى الخلود نفسه ، وليس الشباب بحسب

قال فى حزم :

— سيفعلونها .

هتفت فى عصبية :

— لماذا تطالبنى بالتعاون معك ، وبخداع أفراد الفريق ،

مادمت واثقاً هكذا؟!!

صمت لحظات فى ضيق واضح ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه ،

قائلاً :

— تحسباً .

التقطت نفساً عميقاً ، لم ينجح فى تهدئتها ، وهى تقول :

— لست واثقاً إذن .

أشار بيده إلى الجرو الصغير ، وهو يقول :

— أنا واثق من أنك لن تضيعى فرصة نادرة ، تحلم بها كل

امرأة فى الوجود ، فى أن تظل شابة إلى الأبد .

ثم مال نحوها ، مكماً فى ظفر مسبق :

— فى عيني الرجل الذى تحب على الأقل .

عبارته فجرت فى أعماقها شعوراً قوياً ..

انتفض جسده ، فى انفعال عنيف ، وهو يهتف فى غضب :

— هل تدركين أية فرصة تضيعين !؟

لوّحت بسبابتها فى وجهه ، صائحة :

— هل تدرك أنت ما سافقده ؛ لو وافقت على خطتك الدينية ؟

رفع الكرة المعدنية نحوها ، وهو يرتجف من فرط الغضب ، هاتفاً :

— فى هذه الحالة .

تراجعت فى حركة غريزية ، على الرغم من جهلها بما تمثله تلك الكرة ، التى صوّبها نحوها فى غضب ، و ...

وفجأة ، صدر أزيز عجيب ، من مكان ما فى الوكر ..

أزيز جعله يخفض كرتة اللامعة ، ويندفع نحو جزء من الجدار ، هاتفاً :

— ها هو ذا .

ضغط زراً خفياً فى الجدار ، فتراح جانب منه ، كاشفاً شاشة رصد كبيرة ، ظهرت عليها صورة مكتب أنيق ، يجلس خلفه رجل مستتر بظل كثيف ، يخفى وجهه تماماً عن الرؤية ..

شخص تحدّث فور ظهوره ، وهو يقول فى صرامة :

— هل بلغت بك حماقتك هذا الحد !؟

حدّقت (مشيرة) ذاهلة فى تلك الصورة على الشاشة ، والذنب يجيب ، فى توتر شديد :

— أية حماقة تعنى !؟

أجاب صاحب الصوت بنفس الصرامة :

— كشفت أمرك للدُّب ، وللسيدة (مشيرة) ، بدلاً من أن تتروى ؛ لترى كيف ستسير الأمور .

بدا الذنب شديد التوتر ، وهو يقول :

— مازالت احتفظ بهما ، ولكننى قد ...

قاطععه فى صرامة :

— ترتكب حماقة أخرى بالقضاء عليهما !؟

ارتجف صوت الذنب ، من فرط التوتر ، وهو يقول :

— وماذا تقترح أن أفعل بهما .

لم تسمع (مشيرة) الجواب ، وهى تحقق فى تلك الصورة

10- النظرية ..

ثنى (نور) جسده فى مرونة ، لتستوعبه تلك الكبسولة المعدنية ، التى تعاون الكل فى صنعها ، من كل ما لديهم من آلات وأجهزة ، وقال فى صعوبة :

— إنها ضيقة بعض الشيء ، ولكن لا بأس .. المهم أن تؤدى مهمتها بنجاح .

قالت (نشوى) ، عاجزة عن كتمان توترها :

— احتمالات نجاحها فى عبور ذلك الحاجز ، تبلغ ثمانين فى المائة تقريباً .

سألها (أكرم) فى قلق شديد :

— ولماذا ليست مائة فى المائة !؟

أشارت إلى جهاز الكمبيوتر ، قائلة :

— لقد أدخلت كل العوامل فى برنامج الكمبيوتر .. وزنها ، ونوع مادتها ، ومقدار الطاقة التى ستطلقها ، وسرعتها عند الاختراق ، ولكن هناك عامل ، ليست لدى معلومة واحدة ، يمكننى الاسترشاد بها بشأنه .

على الشاشة فى ذهول تام ..

فذلك الشخص ، الذى وصفه الذئب بأنه عين له فى الحصن ، كان آخر شخص يمكن أن تتصوره ..

بل يستحيل ، مهما بلغت عبقريتها أن تتصوره ..

يستحيل تماماً ..

تماماً .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

— ولكنه داخل الكبسولة .

قالت فى إصرار ، ودموعها تنسال فى بطء على خديها :

— لن يعبر .

ثم أجهشت بالبكاء وفجأة ، وأخفت وجهها بين كفيها ، هاتفة :

— حياً .

اتسعت عينا (سلوى) ، وحدقت فى (نور) فى لوعة ، مرئدة :

— لا .. ريباه !! .. لا .. مستحيل !

وانعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يندفع نحو الكبسولة ، قائلاً فى

صرامة تموج بالعصية والتوتر :

— اترك هذه الكبسولة يا (نور) .

أشار إليهم (نور) ، قائلاً :

— بعد كل ما فعلناه .

شمر (أكرم) عن كفيه ، وهو يقول فى صرامة :

— لن نخسر شيئاً .

سألها ، فى مزيد من القلق :

— وما هى !؟

ارتجف صوتها ، وهى تجيب :

— أبى .

التفت إليها الجميع ، فى تساؤل بالغ القلق ، فأكملت موضحة :

— وجود عامل بشرى داخلها يخل بالمعادلة كلها ، فالتجربة العملية

الوحيدة لدينا ، تخص الأجسام الصلبة ، التى تنطلق بسرعة كبيرة .

سرى قلق (أكرم) وتوتر (نشوى) فى نفوس الجميع ،

فتساءل (رمزى) فى انفعال :

— وماذا يمكن أن يحدث فى رأيك ، فى حالة الفشل .

امتقع وجهها فى شدة ، وهى تجيب :

— ستعبر الكبسولة المعدنية .

سألها (هاشم) فى حذر متوتر :

— وماذا عن المقدم (نور) !؟

التمعت الدموع فى عينيها ، وهى تجيب فى خفوت :

— لن يعبر جسده .

— أى سؤال هذا يا أبى؟! ..

وسألته (سلوى) فى عصبية :

— بل لماذا هذا السؤال يا (نور)؟! ..

اكتفى (هاشم) باتعادة حاجبيه ، و(نور) يجيب فى حزم :

— عندما قررت أن أعبر هذا الحاجز بنفسى ، كانت لى أسيايى ، التى تحتم قيامى شخصياً بهذه المخاطرة ؛ فلو نجحت خطتنا ، وعبرت بى الكبسولة إلى الجانب الآخر ، فسيثبت هذا نظريتى ، التى أكاد أتق فى صحتها ، ثقة تجعلنى أخوض المجازفة عن رضى .

سأله (رمزى) فى بطء :

— وماذا لو ثبت خطأ نظريتك يا (نور)؟! ..

هز (نور) رأسه ، وهو يقول :

— لن يصنع هذا فارقاً كما تتصورون ؛ فكل قوات الحصن تستهدفنا وتعرف موقعنا الآن ، وكلنا يعلم أن خدعة الانبعاث الحرارى الزائف ، لن تخدعهم طويلاً ، وسرعان ما سنجدهم يحيطون بنا هنا ، ولحظتها لن نحظى بفرصة منهم .

وضرب صدره بقبضته ، مضيقاً فى عصبية :

— أنا سأذهب .

أزاح (هاشم) (رمزى) من أمامه ، قائلاً فى حزم :

— بل أنا .. لن ينقسم الفريق فى زمنى ، بعد أن ظل كتلة واحدة عبر التاريخ .

بدأوا يتشاجرون فى توتر ، حول من منهم ينبغى أن يذهب ، حتى أخرج (نور) جسده من الكبسولة ، وقال فى صرامة ناهية :

— كفى .

التفت إليه الجميع فى توتر وانتباه ، فأضاف :

— هل يمكنكم أن تولونى تفكتكم ، هذه المرة أيضاً؟! ..

كان (أكرم) أوّل من هتف :

— إبنى أتق بك بكل جوارحى يا (نور) .

وقال (رمزى) فى حزم :

— كلنا هذا الرجل .

وقالت (نشوى) فى خفوت قلق :

قال (هاشم) فى خشونة ، صنعتها محاولته لكتمان مشاعره :

— وهل سيغير إثباتك لنظريتك الموقف !؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

— أجل .

ران عليهم صمت مهيب ، بعد كلمته الأخيرة هذه ، وأدار هو عينيه فى وجوههم ، قبل أن يعود إلى تلك الكبسولة ، قائلاً ، بنفس اللهجة الآمرة :

— والآن هيا نكمل ما بدأناه ، فالوقت يمضى بأسرع مما تسمح به الظروف .

حشر جسده داخل الكبسولة ، مستخدماً كل مرونته ، ونظر إليهم ، مضيفاً فى لهجة آمرة حازمة :

— هيا .

تبادلوا نظرة متوترة ، ثم التقطت (نشوى) نفساً عميقاً ، على نحو مسموع ، وهى تضغط زر أغلاق الكبسولة ، قائلة :

— ستنتج بإذن الله .

هتفت (سلوى) فى لوعة :

— (نور) .

منحها ابتسامة ثقة هادئة ، قبل أن تغلق الكبسولة ، فتوقف الجميع حولها فى صمت ، يتطلعون إليها فى أسى ، وكأنهم يلقون نظرة وداع على (نور) ، حتى تنحج (أكرم) فى صوت مرتفع ، وقال فى صرامة ، حاول أن يخفى بها تأثره :

— فلنطلقها .

ترددت (نشوى) لحظة ، ثم لم تلبث أن حسمت أمرها ، وانحنت تضغط زر إطلاق الكبسولة ، فتفجرت كل الطاقة التى زودوها بها ، وانطلقت فجأة كالرصاصات ، بدوى عنيف ..

نحو الحاجز مباشرة ..

نحو (كوياء) .

وشهق الجميع ، قبل أن يحبسوا أنفاسهم فى قوة ..

وفى عقولهم جميعاً تفجّر سؤال مخيف ..

هل ستنتج التجربة ، ويعبر (نور) الحاجز حياً !؟ ..!

هل !؟ ..!

دون حتى أن تدرى ، راحت (مشيرة) ترتجف فى عنف ،
وهى تصرخ :

— أيتها الخائن .. أيتها الحقير .

انتعقد حاجبا الذنب فى شدة ، وهو يندفع نحوها ، ويمسك
كتفها بأصابع قاسية ، ويرجها فى قوة ، صائحاً :

— لست خائناً .. ولمت أسمح لك حتى بقولها .. أنا زعيم
زعماء المقاومة .. هل تفهمين ما يعنيه هذا؟! .. أنا زعيم كل
الزعماء ، الذين يقاومون الحصن ، ويسعون لاستعادة السيطرة
على عالمهم .

صرخت فيه :

— أهدأ ما تحاول إيهام الآخرين به؟! .. أهذه هى العبارت ،
التي تخدعهم بترديدها .

وارتفعت صرختها ، وهى تكمل فى ثورة :

— أيتها الخائن .

انتفض جسده من فرط الغضب ، وهو يصرخ فيها ، فى انفعال
حقيقى :

— قلت لك : لست خائناً .

اتسعت عينها ، وهى تحدق فيه ذاهلة ..

ربما كانت تصرفاته غير مقبولة ..

وربما تجاوز كل الحدود ..

وربما أعمته شهوة السلطة ..

ولكنه كان صادقاً تماماً ، وهو يصرخ بعبارة الأخريرة ..

إنه لا يرى نفسه خائناً للمقاومة ..

لا يظن حتى هذا ..

إنه ، مثل جميع من حوله ، مخدوع ..

إنه لم يكن يعلم من ذلك ، الذى أوهمه بأنه عين له ، من داخل

الحصن ..

ذلك الذى استغله ، ليعبث بالمقاومة ..

وربما بهذا العالم كله ..

ذلك الذى ...

قطع أفكارها فجأة دوى عنيفا ، جعل جسدها كله ينتفض فى

عنف ، وهى تطلق صرخة ، رعب هائلة ، عندما انفجر باب وكر

الذنب ، وطار عبر الحجرة كلها ،

الذنب ، وطار عبر الحجرة كلها ، فى قوة ،



— التفسير يفوق قدرتك على الفهم والاستيعاب .

انتفض جسد الذئب في غضب ، وهو يقول :

— من الواضح أنك لا تقدّر نكاء الذئب .

أطلق (هيثم) ضحكة قصيرة ، تجمع بين السخرية والصرامة ، وهو يقول :

— بل أنت الذى لا تقدّر نكاعنا .

لوح الذئب بسببأته في وجهه ، صارخاً :

— لقد اخترقت حصنكم .

رفع (هيثم) مسدسه نحوه ، وهو يقول فى صرامة قاسية :

— ونحن سنخترق رأسك .

لم يجد الذئب جزءاً من الثانية ؛ ليستوعب معنى العبارة ، فقبل حتى أن تكتمل ، أطلق (هيثم) مسدسه ..

وأطلقت (مشيرة) صرخة أخرى مدوية ..

أطلقتها عندما نسف مسدس (هيثم) رأس الذئب ، الذى سقط جثة هامدة ، وحول بقايا رأسه ، تكوّنت بركة من الدم ، راحت تتسع فى بطن ، و (هيثم) يتجاوزها فى لا مبالاة ، ويتجه نحوها هى ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً بابتسامة وحشية عجيبة :

ويهوى على قيد خطوة واحدة من الذئب ، الذى دار حول نفسه فى سرعة ، ووثب محاولاً التقاط كرتة اللامعة ، لولا أن رأى فوهات عشر مسدسات تتردّية ، مصوّبة إلى رأسه ، ورأى بينها وجه (هيثم) ، الذى عقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

— مرحباً أيها الذئب .. يا زعيم زعماء المقاومة .. أراهن أن وجودنا هنا مفاجأة .. أليس كذلك؟! ..

شحب وجه الذئب ، وهو يسأله ، بكل توتر الدنيا :

— كيف عرفتم مخبأى؟! ..

هزّ (هيثم) كتفيه ، قائلاً :

— إننا لم نجهله يوماً .

اتسعت عينا الذئب ، وهو يقول :

— أكنتم تعرفونه؟! ..

أجابه فى صرامة :

— طوال الوقت .

نهض الذئب فى بطن ، وهو يقول فى غضب ، امتزج بدهشته :

— لماذا تركتمونى أقاومكم إذن؟! ..

— لقد انتهى دوره ، ولم تعد لنا حاجة به .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وقالت بصوت متحشرج ، وهي ترتجف في رعب :

— أنتم مخدوعون .

هزّ كتفيه في لا مبالاة ، قائلاً :

— ربما .

ثم أعاد يده خلف ظهره ؛ ليصوب مسدسه إليها ، مستطرذاً في قسوة شديدة :

— ولكن أنتم حتماً .. مهزومون ..

واتسعت عيناها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

كالرصاصات انطلقت الكبسولة نحو ذلك الحاجز ، واخترقته في قوة ، مع صوت قوى عجيب ..

صوت أشبه بصوت سقوط حجر كبير ، في بئر عميقة ..
ولوهلة ، بدا لهم ذلك الجزء ، الذي اخترقته الكبسولة ، قد انضغط معها في قوة ، ثم ارتدّ في عنف ، كما لو أنه غلاف من المطاط الشفاف القوى ..

ثم ، وكما حدث تماماً مع رصاصه (أكرم) ، تكوّنت حول بقعة اخترقها مجموعة من الدوائر الضخمة ، ذات المركز المشترك ..
دوائر هائلة ، شملت مساحة كبيرة جداً من الحاجز ، قبل أن تتلاشى في سرعة كبيرة ..

وأيضاً ، كما حدث مع رصاصه (أكرم) ، اختفت الكبسولة تماماً ، فور اختراقها للحاجز ..

كانت تلك الصحراء الصخرية تمتد خلفه في وضوح ..

ولكن بلا أدنى أثر للكبسولة ..

وفي ارتياح ، هتفت (سلوى) :

— رياه !! لقد تلاشت ..

اتسعت عينا (نشوى) ، هاتفة بصوت مكتوم :

— مستحيل !!

وتجمد (هاشم) و (رمزي) في مكانهما ، في حين اندفع (أكرم) نحو ذلك الحاجز ، وراح يضربه بقبضتيه في قوة ، صارخاً :

— لا .. لن يحدث هذا! — (نور) .. لا .

ظل يضرب الحاجز بقبضتيه طويلاً ، في غضب شديد ، قيل أن يتراجع عنه ، ويسحب مسدسه في حدة ، ويصوبه إليه ، فصرخت (سلوى) :

— لا يا (أكرم) .. لا .

ووثب (رمزي) يمسك معصمه ، هاتفاً :

— إياك أن تفعلها .

قاومه (أكرم) في شراسة ، صارخاً :

— اتركني .

هتفت به (نشوى) في ذعر :

— إنك قد تقتل أبي برصاصاتك هذه .

اتسعت عيناه في ارتياح ، وخفض مسدسه ، متسائلاً :

— حقاً !!

أجابته (سلوى) ، بمنتهى التوتر :

— نحن لا نعلم لماذا اختفت الكبسولة ، فور عبورها الحاجز ، كما اختفت رصاصتك من قبل ، ومن المحتمل أن كليهما قد انتقل إلى مكان آخر .

أضاف (رمزي) ، عند هذه النقطة :

— ولو أطلقت أنت رصاصاتك الآن ، فستنتقل حتماً إلى المكان ذاته .

هتفت (نشوى) مكلمة :

— وربما يقف أبي الآن ، حيث ستستقر .

اتسعت عينا (أكرم) مرة أخرى ، وكرر :

حقاً !!

أما (هاشم) ، فقد هتف في انبهار :

— رياه .. قرأت وسمعت كثيراً عن روح الفريق ، ولكنها المرة الأولى ، التي أشاهد فيها كيف تعمل .

تساعل (أكرم) في انفعال ، عقب تعليق (هاشم) :

— أيبنى هذا أنه من المحتمل أن (نور) مازال على قيد الحياة هناك .. خلف هذا الشيء !! ..

ارتجف صوت (سلوى) ، وهى تغمغم :

— لا يمكنك أن تتصور ، كم نأمل هذا .

أشار بمسدسه إلى الحاجز الخفى فى توتر ، وهو يسأل :

— وهل من وسيلة للتيقن !!؟

تبادلوا جميعاً نظرة قلق عارمة ، قبل أن تجيب (نشوى) فى

خفوت ، وبكلمات أقرب إلى البكاء :

— كلاً للأسف .

لم تكذ تنطق عبارتها ، حتى ظهرت تلك الأجسام فجأة ..

أجسام طائرة ، برزت من خلف الأطلال ، واندفعت نحوهم ،

تحيط بهم من كل صوب ..

أجسام فى حجم كرات القدم ، ولكنها شديدة اللمعان والسطوع ،

راحت تدور حولهم فى سرعة ، جعلت (هاشم) يرفع قوسه فى

توتر ، و(أكرم) يصوب مسدسه ، هاتفاً فى عصبية :

— ما تلك الـ ...

قبل أن يتم هتافه ، برز (هيثم) ورجاله حولهم ، وهو يقول

فى صرامة ، تحمل قدراً هائلاً من الظفر والسخرية والشماتة :

— انصحك ألا تحاول حتى يا سيّد (أكرم) ؛ فهذه الكرات سوف

تتخذ رد فعل هجومياً ، فور إطلاقك رصاصة واحدة عليها ،

وستطلق عليكما جميعاً أشعة حارقة قوية ، ربما قبل حتى أن

تبلغها رصاصاتك ، وستشويكم جميعاً أحياء فى لحظات .

تراجع الكل فى توتر شديد ، والتف رجال (هيثم) حولهم ، وهذا

الأخير يضيف ، فى شماتة هائلة :

— ثم إن نقطة ضعفك قد عادت إلى قبضتنا .

ومال نحوه ، وأكمل ، وعيناه تلتمعان فى شدة :

— زوجتك (مشيرة) .

انعقد حاجبا (أكرم) ، فى غضب واضح ، ولكنه خفض

مسدسه ، وهو يقول فى حدة :

— أيها الأوغاد .

وتبادل الباقون نظرة عصبية ، التمتع لها عينا (هيثم) أكثر ..

فقد صار من الواضح أن الحصن قد ربح المعركة ..

وبكل جدارة ..

شعور رهيب ، ذلك الذى انتاب (نور) ، مع عبور تلك الكبسولة للحاجز الرهيب ..

فى البداية ، شعر بدوى هائل ، ينبعث فى أعماق أعماق عقله ، وبتيار عنيف ، أشبه بالتيار الكهربى ، يسرى فى كيانه كله ، من قمة رأسه ، وحتى أخصص قدميه ، مع شعور بارد كالثلج ..

ومع انتفاضة جسده العنيفة ، دوت فى كيانه فرقة أخرى .. ودار رأسه فى عنف ، لم يشعر بمثله من قبل قط ، فى حياته كلها ..

ثم ارتجت الكبسولة ارتجاجة بالغة القوة .. واستقرت دفعة واحدة ..

ولثوان ، لم يقو (نور) على تحريك أنملة ، مع الآلام الرهيبة ، التى انتشرت فى جسده كله ، والتى جعلته يطلق أهة مكتومة ، ويغلق عينيه فى تهالك ، ويغيب عن الوجود ، فيما بدا له دقيقة أو دقيقتين على الأكثر ..

ثم انتفض جسده مرة أخرى ..

انتفاضة فتح معها عينيه ، واستعاد به نشاط عقله وجسده ، ودفعت باب الكبسولة ، ودفعت جسده خارجها ، واتعدت حاجباه فى شدة ، وهو يتطلع إلى ما خارجها ..

ولم يكن الأمر يحتاج إلى الكثير من الوقت ..

أو حتى إلى الذكاء أو الخبرة ..

نظرة واحدة لما حوله ، كانت كافية ليدرك تمامًا أن نظريته كانت صحيحة تمامًا ، وأن ذلك العالم ، لم يكن أبدًا كما تصوّروه طوال الوقت ، منذ استعادتهم وعيهم ..

وعلى الرغم منه ، وعلى الرغم من أن ما يراه لم يكن يختلف كثيرًا عما توقّعه ، فقد سرت فى جسده ارتجافة أكثر برودًا من جليد القطبين ، وهو يرفع عينيه إلى أعلى ..

فالحقيقة ، على الرغم من كل اتفاقها مع نظريته ، كانت مفرعة ..

رهيبة ..

محبطة ..

بلا حدود ..

Looloo

www.dvd4arab.com

لم يفهم الذئب ما قاله (طارق) ، ولكنه قال عصبية :

— أهو من يستخدمه الذئب ، لاعتقالنا هنا !؟

تبادل جميعهم نظرة متوترة ، قبل أن يقول (طارق) فى صرامة :

— من الواضح أنك لا تدرك شيئاً مما يحدث أيها الرجل .

انتفض جسد الذئب ، فى عصبية امتزجت برعبه ، وهو يهتف :

— لست مجرد رجل .. إننى الذئب .. أحد زعماء المقاومة .

قال الدكتور (راشد) فى استسلام مرير :

— هنا لا توجد مقاومة ، ولا يوجد أمل فى النجاة .

اتسعت عيناه فى رعب ، وهو يقول :

— لا أمل .. ماذا تعنى يا رجل !؟

وضع (طارق) يده على كتفه ، فانتفض الذئب فى قوة ، وتراجع بحركة حادة متحفزة ، فاعتدل (طارق) ، وقال فى حزم :

— دعنى أشرح لك كل ما يحدث هنا .. كل شيء .

فى نفس الوقت الذى بدأ يشرح فيه الأمر (نورا) يقف خلف ذلك الحاجز ، فى المنطقة التى تم وضعها كحد سلكى

11 - الحقيقة ..

« ليس هناك أمل .. »

نطقها (محمود) الصغير فى مرارة ، فاتسعت عينا (طارق) الصغير فى ذعر ، وهو يقول :

— أسيعنى هذا أننا سنبقى هنا .. فى قلب العدم !؟

تلقت الذئب حوله فى رعب ، وهو يبحث عبثاً عن خنجره فى حزامه ، قائلاً :

— العدم !؟ .. ماذا تعنى بالعدم !؟ .. أين نحن بالضبط !؟

غمغم الدكتور (راشد) فى مرارة :

— فى مكان لم تحلم به ، حتى فى أبشع كوبيسك يا هذا .

اتسعت عينا الذئب ، وهو يقول ، فى عصبية شديدة :

— هل أرسلنى الذئب هنا !؟ .. ولكن كيف !؟

ثم دفع بصره على (س — 18) ، فارتد بحركة عنيفة ، صارخاً :

— وما هذا !؟

أجابه (طارق) فى توتر :

— (س — 18) .

الأطلال ، أو ربما رجال الحصن قط ، يدير عينيه فيما حوله ، ويتأمل المكان في اهتمام ، قبل أن يغمغم في خفوت :

— كنت على حق بالفعل .

كان يقف وسط فراغ هائل ، لا يشبه قط ، في أية تفصيطة منه ، تلك الصحراء الصخرية ، التي وجدها خلفه ..

هذا لأنه كان فراغاً صنعته كائنات عاقلة ، ولم تصنعه الطبيعة ..

كان يقف على أرضية لامعة ، مصقولة ، من معدن برّاق ، يبيت حرارة متوسطة ، يشعر بها عند قدميه ، وهي تمتد لمسافة ستة أمتار تقريباً ، لتنتهي عند جدار من معدن قوى ، يرتفع لمتراً واحداً ، قبل أن تمتد منه قبة هائلة ، من زجاج بالغ السماكة ، يبلغ سمكه خمس سنتيمترات على الأقل ..

أو هي مادة أشبه بالزجاج ..

مادة أكثر شفافية ، أو أكثر صلابة ..

ومن خلف تلك القبة شديدة الشفافية والصلابة ، كان يرى ما لم يتوقع رؤيته بهذه السرعة ..

الفضاء ..

فضاء شاسع ، سرمدى ، لا نهائى ، تتراص فيه ملايين النجوم ، ومليارات الكواكب والأقمار !! ..

وكان هذا يعنى أنهم بالفعل ليسوا على الأرض ..

ليسوا على أرضهم التي عرفوها ..

وربما منذ البداية ..

التقط (نور) نفساً عميقاً ، وهو يقول في مرارة :

— كانوا يخذعوننا طوال الوقت .

تألقت على مقربة منه مساحة من فراغ المكان ، فالتفت إليها فى ببطء ، دون تهتز فى جسده شعرة ، فى حين راح ذلك التآلق يتكثف ، ليتحوّل إلى هيئة يعرفها جيداً ..

هيئة القائد الأعلى ..

كان يقف أمامه واثقاً ، مشدود القامة ، عاقداً ذراعيه خلف ظهره ، ويحمل على شفتيه ابتسامة واثقة ظافرة ، فقال (نور) فى هدوء غير متوقع :

— كنت أعلم أنه أنت .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

— ولكننى لم أتوقع ، والحق يقال ، أن يمكنك التوصل إلى الحقيقة .

واجهه (نور) بنصف التفتاة ، وهو يقول ، فى صرامة مماثلة :

— لأنها ، من وجهة نظركم ، كانت أعقد من أن يتصورها أحد ؟!

مطَّ القائد الأعلى شفّتيه ، وأجاب :

— ربما .

ثم أضاف في مقّت :

— ولكن يبدو أننا لم نقدّر وفريقك حقّ التقدير .

هزّ (نور) كتّفيه ، وقال :

— هذا خطأ كل من واجهونا .. وأنتم فعلتم كل ما بوسعكم ، لجعلنا نعيش حقيقة وهمية .. العالم الوهمي الذي صنعتموه ، وذلك الحاجز (كوباء) ، الذي لم يكن مجرد حاجز ، يمنع من داخله من عبوره ، ومن معرفة الحقيقة ، التي تكمن خلفه ، بل هو أيضا شاشة عرض هولوجرامية عملاقة ، نصف كروية ، تعرض طوال الوقت ، وبلا انقطاع ، صورة ثلاثية الأبعاد للسماء والشمس ، بحيث يشعر الكل ، وكأنهم مازالوا على كوكب الأرض .

تألّفت عينا القائد الأعلى ، وهو يقول في ظفر :

— لا يمكنك أن تنكر أنها كانت شديدة الاتقان ، فلم يتمكن أرضى واحد من كشفها ، طوال ما يزيد عن ثلاثين عاما أرضية .

وافقه (نور) بإيماءة من رأسه ، قائلا :

— متقنة بالفعل ، فيما عدا ليلها ... ونجومها .

مطَّ القائد الأعلى شفّتيه ، وقال في ضيق :

— النجوم الثابتة .. كانت هذا عيبا حتميا للأسف ، لأنه حتى البرامج الهولوجرامية ، لا بد لها من ساعات سكون ، حتى يمكنها الاستمرار .

وصمت لحظة ، ثم استطرد ، في شيء من الحدة :

— ثم إن أحدا لم ينتبه إليها قط ، طوال السنوات السابقة .

قال (نور) في هدوء ، لا يتناسب مع موقفه :

— ربما لأن الناس يعتادون ما يرونه باستمرار ، وبعد ثلاثة عقود من الاعتياد ، ولن ينظر أحد إلى السماء قط ، ويتساءل : لماذا لا تتحرك النجوم ، ولكننا استيقظنا هنا بقفزة واحدة أو لم نملك الوقت لاستيعاب خلل الظاهرة أو اعتياده .

أوما القائد الأعلى برأسه ، وغمغم في مقّت :

— كان ينبغي أن ننتبه إلى هذا بالفعل .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— أمور كثيرة ، كان ينبغي أن تنتبهوا إليها ، عندما أعدتمونا إلى وعينا .

اتعدّد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول

— عودتكم إلى وعيكم لم تكن بإرادتنا .. كان أمراً لم نستطع فهمه ، حتى هذه اللحظة ، كما لم نستوعب بعد قدرات ذلك (الزوربوم) الحيوى ، الذى هبط على الأرض منذ ملايين السنين ، من عالم آخر ، فنى قبل حتى أن تولد حياتكم على الأرض ، وعثرنا عليه نحن قبلكم ، و ...

قاطعته (نور) فى دهشة متوترة :

— قبلنا ؟!

ثم استطرد بسرعة فى حماس :

— الآن اكتملت المنظومة ، واتضحت كل جوانب اللغز ، وفهمت ما خفى عنى من أركانه .

ازداد اتعقاد حاجبى القائد الأعلى ، دون أن ينطق بحرف واحد ، فتابع (نور) بنفس الحماس :

— إننا نسيح ، بكل هذا العالم فى الفضاء ، داخل ما يبدو أنه مركبة هائلة ، إلى حد استيعاب عالم كامل ، ولكنكم لستم من سكان أى كوكب آخر .. أنتم مثلنا .. من سكان الأرض .

بدا من الواضح أن حديث (نور) يحنق القائد بشدة ، فقد انقلبت سحنته على نحو عجيب ، و (نور) يكمل فى انفعال :

— أنتم تلك الحضارة ، التى نشأت فى أعماق الكوكب ، قبل حضارتنا بزمان طويل .. أنتم حضارة الزئبق الحى (*) .

حمل صوت القائد الأعلى كل مقتته ، وهو يقول :

— أنت بالفعل عبقرى ، أكثر مما كنا نتصور .

تابع (نور) ، وكأنه لم يسمعه :

— وما أظنه هو أن كل هذا مجرد تجربة .. اختبار لقدرات حضارتنا ونظم تفكيرنا .

تألفت عينا القائد الأعلى ، وهو يقول :

— فى هذا أخطأت أيها العبقرى .

ثم بدأ يتحرك فى المكان ، ومستطرداً فى ظفر :

— لقد درسنا أساليبكم ونظم تفكيركم ، منذ سنوات طوال .. وربما منذ بدأت حضارتنا الحديثة بالفعل ، حتى آخر لحظة ، قبل نهاية عالمكم كله .

اتسعت عينا (نور) ، وهو يردد بأنفاس مبهورة :

— نهاية عالمنا .

(*) راجع الأجزاء الثلاثة (المفقودون) ، (الزئبق الحى) ، و (الكيف) ..

المغامرات أرقام (153) ، (154) ، و (155) .

تألفت عينا القائد الأعلى أكثر ، وهو يقول فى شماتة :

— نعم .. نهاية عالمكم يا (نور) .. قنبلتنا التى أشعلناها ، بدأت سلسلة تفاعليته مدمرة ، بحيث أننا ، عندما غادرنا الأرض ، كنا نترك خلفنا كوكبًا يقنى ، وحضارات تباد .. وبمنتهى السرعة .

استعت عينا (نور) فى ارتياح لما يسمعه ، وغمغم فى غضب شديد :

— أيها الأوغاد .

شدَّ القائد الأعلى قامته ، وهو يقول :

— كان قدرًا لا بد منه .

صرخ فيه (نور) ، بكل غضب الدنيا :

— أى قدر هذا ، الذى نتحدث عنه؟! .. هل تصوَّرتم أنكم مبعوثو العناية الإلهية ؛ وأن فناء الأرض هو مهمتكم؟! .. هل أصاب العيش تحت الأرض عقولكم بالخيل ، حتى لم تعودوا تعرفون الصواب من الخطأ .

لوَّح القائد الأعلى بسبببته فى وجهه ، وهو يهتف فى غضب :

— لقد أسرعنا بما تقودون أنفسكم إليه فحسب .. إنكم تدمرون عالمكم بكل وسيلة ممكنة .. تخترعون أسلحة دمار ، بأكثر مما

تصنعون وسائل الرفاهية والراحة والسعادة .. وكل منكم لا يكتفى بما لديه ، ويسعى لتدمير الآخرين ؛ للاستيلاء على ما يملكون .. وسائل التدمير لديكم تتطور بسرعة ، حتى صارت تهدد ليس حضارتكم فقط بالفناء .. بل وحضارتنا أيضًا .

صاح فيه (نور) :

— ولماذا لم نتعاش معًا فى سلام!؟

صرخ القائد الأعلى فى وجهه :

— نحن وأنتم؟! .. يا للهراء! .. إنكم لم تتججوا فى التعاش سلميًا ، مع بعضكم البعض ، فكيف كنا نتوقَّع منكم أن تتعاشوا سلميًا معنا؟! .. إنكم تجرون تجارب أسلحة الدمار الشامل لديكم فى باطن الأرض .. فى قلب منطقتنا ، التى حاولنا أن نجعلها آمنة .

صاح (نور) :

— بتدميرنا .

صرخ القائد الأعلى :

— لم يكن هناك بديل .

وعقد حاجبيه ، على نحو مخيف ، وهو يضيف :

— إما أنتم أو نحن .

ثم مال نحو (نور) بشدة ، مستطردًا :

— ماذا كنتم ستختارون ، لو أنكم فى موضعنا ، وتملكون أقوى مما نمتلك !؟

ران على كليهما الصمت لحظات ، وكلاهما يتطع إلى عيني الآخر ، فى تحد ، قبل أن يقول (نور) فى صرامة :

— وهل دمّرتم الأرض ، لتتقدوا حضارتكم !؟

التقط القائد الأعلى نفسًا عميقًا ، وقال :

— لم يكن هناك من سبيل آخر .

صمت (نور) ، يستمع إليه فى اهتمام وانتباه ، والقائد الأعلى يواصل :

— القضاء على حضارتكم لم يكن ممكنًا ، دون تدمير حضارتنا معها ، أو دون تعريضها لخطر هائل على الأقل ، وبقاء حضارتكم كان يعنى حتمية دمار حضارتنا ؛ لأن ما فعلتموه تحت الأرض ، جعل وجودنا كله مهددًا بالخطر .. وعبر سنوات طوال ، رحنا نبحث عن كوكب يصلح لحياتنا ، حتى تنتقل إليه حضارتنا ، بعد أن صار استمرارنا فى قلب الأرض مستحيلًا ، ولقد عثرنا بالفعل على كوكب ، يبعد عن الأرض مسافة مائة سنة ضوئية ، وقررنا الانتقال إليه .

سأله (نور) فى حذر :

— وكيف عثرتم على كوكب كهذا !؟ .. إننا لم نرصد أية كوكب ، يمكن أن تستمر الحياة عليها ، فى هذا النطاق .

ابتسم القائد الأعلى فى سخرية ، وقال :

— هذا لأنكم ترصدون الفضاء ، عبر مسارات مستقيمة مباشرة ، أما نحن فنستخدم تكنولوجيا أكثر صعوبة وتعقيدًا ، جعلتنا ندرك أن الفضاء يمكن أن ينكمش للغاية ، لو عبرته من خلال مسار دودى ؛ لذا فالكوكب الذى نتحدث عنه ، سترصدونه أنتم ، لو استطعتم ، باعتباره يبعد عنكم ألفى سنة ضوئية على الأقل ، ولا تحاول فهم أو استيعاب هذه القواعد الفيزيائية لأنها تفوق عقولكم بآلاف السنين من التطور .. على الأقل .

سأله (نور) ، فى فضول واهتمام :

— وماذا كانت خطواتكم التالية !؟

أجابته بابتسامة ظافرة متشفية :

— عندما وصلتم إلينا ، فى باطن الأرض ، كان كل شيء معدًا للانطلاق ، وكل شيء معد للنقل الحضارية ، ووصولكم غير مفاهيمنا ، حول ذكاء من على السطح ، ودفعنا إلى إعادة دراسة هوية من نحتاج إليه منكم .

كانت مفاجأة جديدة لـ (نور) ، الذى غمغم :

— من تحتاجون إليه منا ؟!

ثم رفع صوته ، وهو يكمل فى صرامة :

— أهذا يفسر صنعكم لهذا العالم الوهمى ، على متن المركبة الفضائية العملاقة ، التى تنقلكم إلى العالم الجديد ، واحتفاظكم بكل من عليه من بشر ؟! .. هل كنتم تحتاجون إلى من يعاونكم ، على بناء عالمكم الجديد ؟!

قال القائد الأعلى فى سخرية :

— يعاوننا ؟!

ثم أطلق ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يقول :

— إننا لم نحفظ بكل هولاء البشر ، لأننا نحتاج إلى معاونين ؛ فالواقع أن ما نحتاج إليه هناك هو ...

صمت لحظة ، مال خلالها نحو (نور) ، ثم أضاف ، فى لهجة تحمل سخرية وشماتة وظفر الدنيا كلها :

— عبيد .

وانتفض جسد (نور) فى قوة ..

فما سمعه كان صدمة رهيبية ..

صدمة تفوق كل قدرته على الاحتمال ..

ألف مرة ..

على الأقل ..

عقد الرائد (هيثم) كفيه خلف ظهره ، فى ظفر وصرامة ، وهو يدير عينيه فى وجوه الجميع ، قائلاً :

— كان ينبغي أن تعلموا أن انتصاركم علينا ، ونجاحكم فى الفرار منا مستحيل !

هتفت به (مشيرة) فى غضب ، وهى تلتصق بـ (أكرم) :

— المستحيل هو أن نخون وطننا ، كما تخونه أنت .

ابتسم فى سخرية ، وقال :

— لا تحاولى استخدام هذه الأكاذيب الصحفية معى يا سيّدة (مشيرة) ، فلقد قرأت تاريخك كله ، ولن يمكنك خداعى أبداً .

هتفت به (سلوى) فى غضب :

— أنت أيضاً ، لن يمكنك خداعنا ، لا أنت ، ولا قائدك الأعلى .

قالت (مشيرة) فى عصبية :

— إنه خائن أيضاً .

أدهش قولها الجميع ، على الرغم من وجودهم داخل محبسهم ، والتفتوا إليها متسائلين ، و(هاشم) يغتم :

— خائن؟! .. يخون من؟! .. ولحساب من؟!!

واحتضنها (أكرم) ، محاولاً تخفيف توترها ، وهو يقول :

— حبيبتي .. اهدأى .. هل تأثرت إلى هذا الحد ، بوجودك وسط رجال المقاومة .

قال (هيثم) فى صرامة :

— لقد غسلوا مخها ، وافتعوا بأن تمردهم على السلطة الشرعية ، هو مقاومة مشروعة .. كان ينبغى أن تسألهم أولاً يا سيدة (مشيرة) .. من يقاومون ، ولأى هدف يقاومون .

صاحت (مشيرة) فى غضب :

— ألم تسأل أنت نفسك ، من أنشأ هذه المقاومة ، ويغذيها من داخل الحصن .

قال (هيثم) ، فى غضب صارم :

— لا شأن للحصن بالمقاومة ، ولا يعرفون حتى ماذا يدور هنا .

حاولت (سلوى) بدورها تهدئتها ، ولكن (مشيرة) اندفعت تقول ، وجسدها كله ينتفض فى غضب :

— حقاً؟! .. كيف علمت المقاومة بعودة (نور) وفريقه إذن ، قبل فرارهم من هنا؟! .. كيف حصلت على تلك الأجهزة الحديثة ، التى وجدتتها هناك ، فى وكر الذئب .

انعقد حاجبا (هيثم) فى توتر ، دون أن ينطق بحرف واحد ، وإن أدار أسنلتها فى عقله ، وهى تلتفت إلى الباقين ، هاتفة :

— منذ البداية ، كان الذئب يؤكد أن له عيناً داخل الحصن ، ولقد حاولت أن أعرف من يعنى ، حتى حدث اتصال مرئى ، بينه وبين عينه فى الحصن ، لم يكن وجهه مرئياً فى وضوح ، ولكننى تعرّفت صوته ، وديكورات مكتبه .

سألها (رمزى) فى لهفة ، اشترك فيها الجميع :

— من هو يا (مشيرة)؟! .. من؟!!

بدا (هيثم) شديد الصرامة والسخرية فى آن واحد ، وهو يسألها بدوره :

— نعم .. من هو أيتها العبقريّة !؟

التفتت إليه بمنتهى الحدة ، قائلة :

— آخر شخص ، يمكن أن يخطر ببالك أيها المتبجح .

واشتعلت عيناها بكل غضب الدنيا ، وهي تصرخ مضيفة :

— قائدك .. القائد الأعلى .. شخصياً .

وشهق (هيثم) فى قوة ..

وشهق معه الجميع ..

فقد كانت مفاجأة ..

مذهلة ..

لما يقرب من دقيقة أرضية كاملة ، ظلّ (نور) يحدّق فى وجه القائد الأعلى ، الذى بدا شديد الظفر والشماتة ، وهو يبتسم ، قائلاً :

— لم تكن تتوقّع هذا .. أليس كذلك !؟

أجابه (نور) فى جمود ، بعد فترة أخرى من الصمت :

— أعترف بهذا .

ثم أضاف فى غضب :

— وهذا يعنى أنكم أكثر حقارة ، من كل ما تصوّرت .

أطلق القائد الأعلى ضحكة ساخرة ظافرة عالية ، وكأنما يسعده هذا التصريح ، وقال :

— بل إننا عباقرة ، أكثر من كل ما تصوّرت .

بدا غضب شديد على وجه (نور) ، فتابع القائد الأعلى فى ظفر واضح :

— كل ما عشموه كان مجرد خدعة كبيرة ، أعدناها نحن ، بمنتهى منتهى الدقة والبراعة .. كنا نحتفظ بكم لدراسكم ، داخل حصن وهمى ، صنعناه ليخفى مركز تشغيل مركبتنا الفضائية العملاقة ، التى يديرها ويرعاها البشر ، متصورين أنهم يرعون عالمهم ، ويحافظون على أمنهم .. الرحلة إلى الكوكب الجديد تحتاج إلى مائتى عام ، من السباحة فى الفضاء السرمدى .. صحيح أن متوسط أعمارنا يفوق متوسط أعماركم بكثير ، ولكنه لن يصمد حتى نصل إلى هناك ، لذا ، فقد تم وضع شعبنا كله ، فى حالة سبات صناعى ، ليبقى حتى نصل إلى هناك .

قال (نور) فى غضب :

— شعبكم كله ، أم سادته فحسب !؟

صمت القائد الأعلى لحظات ، ثم أجاب في صرامة :

— العامة لا يستحقون استمرار العيش .

قال (نور) ممتعضاً :

— لذا فقد تركتموهم خلفكم .

ابتسم في سخرية ، قائلاً :

— تركناهم يفنون مع قومك .

قال (نور) ، وقد امتزج غضبه باشمنزازه .

— وانقذتم السادة فحسب .

تجاهل القائد الأعلى عبارته تماماً هذه المرة ، وتابع وكأنه لن يتوقف ، للدخول في هذا الحوار الجانبي :

— السادة كلهم في سبات ، في أعماق المركبة ، وعشرة منا فقط ، يتولون أمر كل شيء .. يديرون هذا العالم الصناعي ، ويسيطرون على كل شيء فيه ، بمعاونة ثلاثة آلاف بشرى ، يتصوّرون أنهم يدافعون عن كياتهم هم .

والتمعت عيناه ، وهو يضيف :

— ولا يخطر ببال أحدهم ، أن طاقتهم هي التي تساعد المركبة على المضى في سبيلها .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول في مقّت :

— وتركتموهم يقاتلون بعضهم البعض .

هزّ القائد الأعلى ، قائلاً :

— كانوا سيتقاتلون ، سواء أدفعناهم إلى هذا ، أم لم نفعل .. إنها طبيعتكم أيها البشر .. السيطرة .. تسعون دوماً نحوها ، وترتكبون كل حقارات الدنيا للفوز بها .

قال (نور) في حدة :

— وماذا عنكم !؟

شدّ القائد الأعلى قامته في اعتداد ، وقال في زهو :

— أنا أنشأت المقاومة .

غمغم (نور) :

— كان ينبغي أن أتوقّع هذا .

تابع القائد الأعلى ، دون أن يتوقّف عند تعليقه :

— لو ظلوا متآلفين ، ستستقر بهم الأمور ، ويبدأون في التفكير في أحوالهم ، وربما .. ربما عندئذ ، يكشف أحدهم الحقيقة ، أما لو ظلوا متحاربين متقاتلين طوال الوقت ، فمن سينتبه إلى ما يحدث فعلياً ، في خضم القتال والكراهية والعنف وإراقة الدم !؟ .. من !؟

— وما سيمتكم أنتم ، يا شياطين الأرض؟! .. الحقارة؟!!

تراجع مبتسماً في سخرية ، وهو يقول :

— شياطين الأرض؟! .. تروق لى التسمية كثيراً ، وما دمت قد أطلقتها ، فدعنى أقدم لك باقى فريقنا .. فريق الشياطين .

لم يكذب ينهى عبارته ، حتى تألقت أجزاء أخرى من الفراغ حول (نور) ، ثم برز باقى الفريق ..

فريق المحتلين العشرة ، الذين يقودون ذلك العالم الوهمى الرهيب ..

واتسعت عينا (نور) عن آخرهما ..

فالحقيقة التى رآها أمامه ، كانت مفزعة ..

ومرعبة ..

إلى أقصى الحدود ..

قال (نور) فى مرارة :

— وكلهم تبعوك؟!!

ابتسم ، مجيباً فى ظفر :

— كلهم بلا استثناء .. كل مهمتى كانت إذكاء نيران الحقد بينهم ، واشعال رغبة التفوق والسيطرة فى نفوسهم .. بدأ يبقون منشغلين طوال الوقت .

ثم التقط نفساً بالغ العمق ، قبل أن يستطرد :

— ونبقى نحن .

بدا (نور) شديد المرارة ، وهو يقول :

— فرق تسد .. أسلوب الاستعمار منذ الأزل .

هز القائد الأعلى كتفيه ، قائلاً :

— وسيبقى إلى الأبد .. الكل يعرفه ، والكل تعلمه ، ولا أحد

احتاط منه أو تحاشاه .

وعاد يميل نحوه ، مستطرداً ، وعيناه تلتصقان بكل الظفر :

— هذه سيمتكم أيها البشر .

قال (نور) فى غضب :

12 - الوحوش ..

لم يكن أفراد الفريق ، أو (هاشم) وحدهم من أصيب بالذهول ، لما صرّحت به (مشيرة) ، فقد شاركهم (هيثم) ذولهم ، مع عاصفة من الغضب والاستنكار ، وهو يصرخ :

— هل بلغت بك الوقاحة هذا الحد؟!.. بل هل بلغ بك الجنون ، حد اتهام القائد الأعلى بأنه يخون الحصن ، الذي يمثل رمز قوته وسطوته؟!.. أى منطق يمكن أن يكمن فى هذا!؟

قال (رمزى) فى توتر صارم :

— لو أننى فى موضعك ، لما استنكرت الأمر ورفضته بهذه السرعة ، فقائدكم الأعلى محاط بالكثير من الشكوك .

صرخ فيه (هيثم) ، وهو يصوب إليه مسدسه :

— هل صدقت جنون هذه الوقحة المجنونة!؟

انعقد حاجبا (أكرم) ، فى غضب هائل ، وهو يزيج (مشيرة) ، ليحميها بجسده ، مواجهها (هيثم) فى قوة :

— حذار من ترويض بذائعك هذه يارجل ، ولا تتصور أن أسلحتك أو أسلحة رجالك ، قد تكفى لكبحى ، عندما أنقض عليك لأؤذّبك ، على إساعتك لزوجتى .

صرخ (هيثم) ، بكل انفعالاته :

— ألم تسمع ما قالته يا هذا!؟

أجابه (هاشم) فى خشونة :

— ألم تسأل أنت نفسك ، من يحكم (مصر) الآن!؟

صرخ فيه :

— لا شأن لهذا بما قالته!؟

قالت (سلوى) ، وهى تلهث فى انفعال :

— بل هو تساؤل وثيق الصلة بكل ما يحدث ؛ فالمفترض أن المخابرات ، أياً كانت ماهيتها ، هى جهة معلومات ، ومهمتها هى الحفاظ على أمن وأسرار البلاد ، والزود عنها ، ضد كل من يحاول المساس بها ، وهى دوماً تتبّع رئيس الجمهورية ، فمن الرئيس الذى تتبّعه ، فى هذا الزمن!؟

على الرغم من تمسكه بنظراته الصارمة ، ظهرت علامات الحيرة على وجه (هيثم) وهو يقول فى حدة ، اصطنعها ليخفى توتره الشديد :

— هذا ليس شأننا .

قالت (نشوى) فى صرامة :

— بل هو شأن كل مواطن ، يحيا على أرض (مصر) .. هيا ..
أخبرنا يا رجل .. من رئيس دولتك؟! ..

لم تقو حيرة (هيثم) على التوارى خلف صرامته وحدته هذه المرة ، فحفرت نفسها فى وضوح على وجهه ، وانتقلت حيرته إلى رجاله ، وبدت واضحة فى ارتعاشة أيديهم ، التى تحمل أسلحتهم ، والتى لم تعد تصوبها إلى الرفاق بنفس الصرامة والتحفز ، فإضاف (أكرم) ، وهو يشد قامته فى قوة ، وكأنه هو الذى يسيطر على كل الأمور :

— دعنى أطور السؤال إلى : ما الذى تعرفونه حقاً ، عما يدور خارج هذه الأطلال؟! :

قال (هيثم) ، فى ارتباك ملحوظ :

— إننا نراقب الأطلال طوال الوقت .

قال (أكرم) فى صرامة :

— لم يكن هذا سؤالى .

وأضاف (هاشم) ، قائلاً :

— إنكم لا تذكرون حتى ، متى ولا كيف حدثت تلك الكارثة ،
التي قادت عالمنا إلى كل هذا .

واتسعت عينا (هيثم) فى شدة ..

نعم ... كل ما يقولونه صحيح ..

إتهم جميعاً ، داخل أسوار الحصن ، لا يعلمون شيئاً ..

منذ وعت عيونهم الدنيا ، والحصن هو كل ما يعرفون ..

لقد نموا ونشأوا داخله ..

ولم يعرفوا سواه ..

القائد الأعلى لم يمنهم أية فرصة ، لمعرفة أى شىء ..

أى شىء على الإطلاق ..

وحده كان يعلم كل شىء ..

هم كانوا فقط ينفذون أوامره ..

دون مناقشة ..

ودون حتى محاولة فهم ..

« لا ... » ..

انتفض جسده فى قوة ، وهو يطلق الصرخة ، ثم رفع مسدسه ،

يصوبه نحو (أكرم) ، صارخاً :

— إنهم يحاولون إرباكنا .. أطلقوا النار علينا ..

وفي تلك المساحة الضيقة ، دوت الطلقات الترددية ..
بمنتهى العنف ..

مشهد رهيب بالفعل ، ذلك الذى أحاط بـ (نور) ..
مشهد أشبه بأعنف أفلام الرعب ..

أو هو رعب حى ..

رعب من أعماق الأرض ..

الرجال العشرة ، الذين يحيطون به ، كانت لهم هيئة عجيبة ،
تناسب مع حياتهم ، التى يقضونها فى باطن الأرض ..

وجوه زرقاء شاحبة ..

عيون حمراء واسعة ..

ملامح قاسية متغضنة ..

أنياب حادة رفيعة ..

لم تكن ملامحهم تحمل أية انفعالات ، وهم يحيطون بـ (نور) ،
فى دائرة تضيق تدريجياً ، مع ابتسامة القائد الأعلى الظافرة ...

ولكن (نور) تماسك تماماً ، وهو يقول :

— أنت تشبههم .. أليس كذلك ؟!

هزَّ القائد الأعلى كتفيه ، مجيباً ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره :

— إنهم قومى .

تساءل (نور) فى سخرية :

— الأوغاد ؟!

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول فى حدة :

— سخرية عجيبة ، لشخص مقدم على الموت .

مال (نور) نحوه ، قائلاً فى صرامة :

— وهل تتصور أننى أخشاه .. لقد دمّرتم كوكبى ، وقضيتم

على كل أمل لنا فى النجاة ، وتحملوننا معكم إلى كوكب جديد ،

يبعد مائة سنة ضوئية ، بمقاييس تكنولوجيتكم ، فأى هدف

يدعونى للتشبث بالحياة ، بعد كل هذا ؟!

بدا توتر ملحوظ ، على وجه القائد الأعلى ، الذى شد قامته

أكثر ، وهو يجيب فى صرامة :

— الفضول .

تراجع (نور) فى دهشة متسائلة ، فتابع هو بنفس الصرامة :

Looloo

www.dvd4arab.com

— أسئلة عديدة ، مازالت ترغب في معرفة أجوبتها ، قبل أن تموت .. شخصيتك المتلهفة دوماً إلى المعرفة ، ستدعوك إلى هذا ، وستمثل هدفاً يدعوك إلى التثبيت بالحياة .

سأله (نور) في حذر :

— أسئلة مثل ماذا !؟

أجاب ، في شيء من الشعور بالتفوق :

— لماذا احتجنا إليكم بالفعل ، ومن أين أتى (طارق) ، ولماذا احتفظنا بكم منذ البداية ، ولم نحاول التخلص منكم ، قبل عودتكم إلى وعيكم !؟

صمت (نور) لحظات ، ثم عقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

— كلى آذان مصغية .

كانت الدائرة الجهنمية تزداد ضيقاً حوله ، ولكنه بدا شديد الاهتمام والانتباه ، على نحو جعل القائد الأعلى يقول في دهشة :

— إلى هذا الحد !؟

هزّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

— أنت قلتها .. شغف المعرفة .

ابتسم في ظفر ، وهو يقول :

— ربما لن يكفيك الوقت ، لتعرف كل شيء ، فما الذي ترغب في معرفته أولاً !؟

أجاب (نور) ، في اهتمام واقتضاب :

— (طارق) .

أجاب في سرعة :

— ابنتك كانت تحمله بالفعل ، عندما بدأت هذه المغامرة ، وعندما فقدت وعيكم في الكهف ، وقررنا تجميدكم ، كشف علماءنا هذا ، فاستخرجنا الجنين من رحمها ، وقمنا بإكمال فترة حضانتها صناعياً ، وكانت فرصة ممتازة ؛ لدراسة تطوركم الجنيني خطوة بخطوة ، أما احتفاظنا بكم ، فكان أيضاً لأغراض علمية .. كنا ننتظر وصول المركبة إلى هدفها ، حتى نستخلص جيناتكم ، ونحاول مزج عبقرياتكم بسمات الجيل القادم منا .

قال (نور) في سخرية :

— جيل الأوغاد العباقرة .. أليس كذلك !؟

انعقد حاجبا القائد الأعلى في غضب ، وقال :

— هذا يقودنا إلى السؤال الأخير ، الذي ستدرك معه من

اعتدل القائد الأعلى ظافراً ، وهو يقول :

— تماماً كما سيحدث لك الآن .. إتنا لن نقلك .. بل سنلتهمك .

والتمعت عيناه على نحو مخيف ، وهو يبرز أنياباً تشبه
أنيابهم ، مضيئاً بكل الوحشية :

— حياً .

أدار (نور) عينيه في وجوههم الشاحبة المخيفة ، ورآهم
يبرزون أنيابهم ويتجهون نحوه في تحفز ..

ورأى وجه القائد الأعلى يتموج ، ويفقد ملامحه البشرية ،
الشبيهة بملامح الرائد (أيمن) ، ويستعيد هيئته الحقيقية الشبيهة
ببأقى فريقه ..

الوجه الشاحب الأزرق ، والعينات الواسعتان الحمراوان ، وتلك
الآنياب الحادة ، التي تخيلها (نور) تنغرس في أجساد رفاقه
وبنى قومه ، فهتف فجأة في صرامة ، تتعارض مع موقفه :

— المشكلة أنكم نسيتم عاملاً مهماً .

ازدادوا اقترباً منه ، والقائد الأعلى يقول في سخرية :

— ما هو أيها العبقري .

قال (نور) ، في حذر مترقب :

— قلت إنكم قد احتفظتم بالبشر كعبيد .

قال القائد الأعلى :

— كان هذا هو الغرض الثانی .

سأله في قلق شديد :

— وماذا عن الغرض الأول ؟!

ابتسم القائد الأعلى ابتسامة متشفية ، مجيباً :

— الكوكب الذي ستصل إليه مركبتنا ، في نهاية رحلتنا ، كوكب
يصلح لحياة البشر ، ولكن الحياة لم تنشأ عليه بعد ، وهذا يعني
أن السادة ، عندما يصلون إليه ، سيكون بحاجة إلى مصدر لـ ...

بتر عبارته ، واتسعت ابتسامته المتشفية ، وبدت وحشية أكثر
من ذي قبل ، وهو يميل نحو (نور) ، مستطرداً :

— الغذاء .

سرت في جسد (نور) ارتجافة باردة كالثلج ، وهو يردد في

فزع :

— غذاء ؟!

ولكن فى اللحظة نفسها ، وثب (هاشم) ، صارخاً :

— لا .. ليس (أكرم) .

جاءت وثبته فى توقيت مدهش ، جعل جسده يعترض طريق تلك الطلقة الترنيدية ، التى أصابته فى صدره ، ودفعته إلى الخلف فى قوة ، فارتطم بـ (أكرم) ، الذى ارتطم بـ (مشيرة) بدوره ، وسقط ثلاثهم أرضاً ، و(نشوى) تطلق شهقة رعب ، و(سلوى) تصرخ :

— خونة .

أما (رمزى) ، فقد اندفع نحو (هيثم) فى غضب ، فآدار هذا الأخير مسدسه الترددى نحوه ، و ...

وفجأة ، ارتجّ المكان كله فى عنف ..

وطاشت طلقة (هيثم) الثانية ، وارتطمت بالجدار ، لتصنع ارتجاجة ثانية عنيفة ، لم توقعه ، أو توقفه (رمزى) ، الذى انقض عليه ، صارخاً :

— دمننا ليس رخيصاً أيها الوغد .

وربما كان (رمزى) محلاً نفسياً عبقرياً ، ولكنه لم يكن أبداً مقاتلاً قوياً أو محترفاً ..

ويتجاوز لكل قواعد المنطق ، بدا (نور) قوياً صلماً ، وهو

يجيب :

— (محمود) .

فى نفس اللحظة التى نطقها فيها ، صدر ذلك الدوى العنيف ، وتحطمت تلك الأرضية اللامعة المصقولة فى قوة ..

ووثب عبرها ذلك الجسد الزوربومى الخارق ..

جسد (محمود) ..

وتراجع أصحاب الوجوه الشاحبة فى زعر :

فقد كانت هذه المفاجأة تعنى أن الأمور كلها ستتقلب رأساً على عقب .

وبمنتهى القوة ..

سلاح (هيثم) كان مصوباً نحو (أكرم) مباشرة ، وطاقة الغضب

فى أعماقه لم تكن لتمنعه من إطلاق النار ، ولو لجزء من الثانية ..

لذا ، فقد أطلق النار ..

نحو الهدف مباشرة ..

وأضاف زميله :

— وحديثهم جعلنا نتساءل : من يخدعنا بالضبط !؟

خفت مقاومته كثيراً ، عند هذه العبارة الأخيرة ، وغمغم في

انكسار مباغت عجيب :

— ربما .. ربما كانوا على حق .

تركه (أكرم) في هذه اللحظة ، وعاد إلى (هاشم) يحاول
اتعاشه ، ولكن هذا الأخير فتح عينيه في صعوبة ، وحاول أن
يبتسم ، على الرغم من كل ما يشعر به من آلام ، وهو يغمغم :

— مثلى الأعلى .. أنت بخير !؟

حمل (أكرم) كتفيه ، وهو يقول في تأثر شديد :

— أنا بخير .. ماذا عنك !؟

تنهَّد (هاشم) في ارتياح ، وهو يغمغم :

— حمداً لله .

أغلق عينيه لحظة ، ثم عاد يفتحهما ، وغمز بإحداهما ، قائلاً
بابتسامة واهنة مترجعة :

— يبدو أننا قد بدأنا طريق النصر يا رجل

لذا ، فقد استقبله (هيثم) بكلمة قوية ألقته أرضاً ، قبل أن
يصوب إليه مسدسه ، صارخاً ، كمن فقد عقله من شدة توتره :

— بل رخيص .. ربما أكثر مما تتصورون .

دفع (أكرم) جسده (هاشم) جانباً ، ووثب محاولاً إتقاذ رفيقه ..

وكانت انقضاضته مفاجئة بحق ..

رجال (هيثم) انقضوا عليه ، وكبلوا حركته في قوة ، وأحدهم
يهتف في عصبية شديدة :

— لا يا سيدي .. ليس فريق (نور) .

سيطروا عليه في لحظة واحدة ، وانتزع أحدهم مسدسه التردى
في صرامة ، قائلاً :

— التاريخ أكد أنه من المفيد أن نستمع إليهم .

قاومهم (هيثم) في شراسة ، صارخاً :

— إنهم يحاولون تشكيكنا في قائدنا .. يحاولون خداعنا .

أجابه آخر في صرامة :

— التاريخ يقول : إن ما يتوصلون إليه دوماً هو الحقيقة ،

مهما بلغت غرابتها .

قال (أكرم) فى أسى :

— وستحيا بإذن الله ، لتشهد نهايته يا صديقى .

تهللت أسارير (هاشم) فى ضعف ، وهو يقول :

— صديقك !؟ .. بالنسبة لى ، هذه لحظة النصر ، التى لم أحلم

بأعظم منها يا .. يا صديقى .

قالها ، وتراجع رأسه ، دون أن يفقد ابتسامته ، وفقد جسده

كل أثر للحياة ، وتراخى بين ذراعى (أكرم) ، الذى قاوم دموعه

فى صعوبة ، وهو يقول :

— ارقد فى سلام يا صديقى ، وأعدك أن أتيتك النصر ، قبل أن

يبرد جسدك الطاهر .

كان المكان يفرق فى صمت مهيب ، والكل بلا استثناء ، يتطلعون

إلى (أكرم) فى تأثر وحزن ، وهو يُرقد صديقه فى حرص شديد ،

حتى استقر جسده أرضاً ، فمد يده يعلق عينيه فى خشوع ، ثم

التفت إلى (هيثم) ، الذى يمسك به رفاقه ، وصرخ :

— أيها الوغد .

قفز من مكانه بكل غضبه ؛ لينقض على (هيثم) ، فصرخ

هذا الأخير بدوره ، محاولاً حماية نفسه :

— لم أكن أقصد هذا .. أقسم لك .

ووثب (رمزى) يمسك معصم (أكرم) ، هاتفاً :

— رويدك يا (أكرم) .. إنه لم يقصد هذا فعلياً .

صرخ فيه (أكرم) :

— ولكنه قتل صديقى .

صاح به (رمزى) فى صرامة :

— وما الذى سيجعلك تختلف عنه ، إذا ما تركت لغضبك العنان

دون تنبير !؟ ..! أى مثل سنضربه لهم ، لو أننا فقدنا بصيرتنا مع

غضبنا ، كما يفعل أى أحمق !؟

التفت إليه (أكرم) فى حدة ، فنظر فى عينيه مباشرة ، مكملاً :

— الله (سبحانه وتعالى) لا يفعل شيئاً عبثاً يا صديقى ..

عودتنا إلى وعينا هنا ، كان لحكمة بالغة .. إنها مسئولية يا رجل ..

مسئوليتنا أمام مستقبلنا .. أمام مستقبل عالمنا كله .

كانت عينا (أكرم) تشتعلان بكل الغضب ، الذى تموج به

أعماقه ، ولكن كلمات (رمزى) جعلته يدير الأمور فى رأسه ،

قبل أن يقول فى عصبية حاول كبحها :

— لقد وعدت (هاشم) .

كتم (أكرم) تأثره ، وهو يقول فى عصبية :

— إننى أفضل مسدسى التقليدى .

فهم الرجال ما يعنيه هذا ، فخفض (هيثم) رأسه فى انكسار ، فى حين اتخذ رجاله وقفتهم العسكرية ، وأدوا التحية فى قوة للقائد الجديد ..

— (أكرم) ..

ولكن فى اللحظة نفسها ، التى أدوا فيها التحية ، أرتج المكان مرة ثانية ..

ويعنف أكثر ..

وفى صعوبة ، منع الجميع أنفسهم من السقوط ، وهتف (أكرم) فى عصبية شديدة :

— ما الذى يحدث هنا !؟

وكان هذا هو السؤال ، الذى يدور فى أذهان وقلوب الجميع ..

ماذا يحدث !؟ ..

ماذا !؟

تقدّم أحد رجال (هيثم) إليه ، ووقف أمامه وقفة عسكرية ثابتة ، ثم رفع يده بالتحية العسكرية ، قائلاً :

— سيّد (أكرم) .. نحن نحتاج إلى قائد .. حالياً .

نطقها ، ثم رفع يده إلى (أكرم) بمسدس تردّدى ، فقال (أكرم) فى عصبية :

— لن يصلح هذا .

هتفت به (مشيرة) :

— أنت أفضل من يقودهم يا (أكرم) ، فى ظل هذه الظروف .

وأضافت (نشوى) مغممة :

— حتى عودة أبى .

أضافت (سلوى) :

— بإذن الله .

هزّ (أكرم) رأسه ، وهو يقول فى توتر :

— قلت لن يصلح هذا .

سأله (رمزى) فى قلق :

— ولماذا !؟

13 - الأمل الأخير ..

ظهور (محمود) المفاجئ قلب الأمور كلها بحق .. وبمنتهى العنف ، وجعل أولئك الوحوش يتراجعون بحركة حادة ، والقائد الأعلى بملامحه الجديدة يهتف في ذهول :

— مستحيل !! —

وقف (محمود) يدير عينيه في وجوههم القبيحة في تحد ، في حين قال (نور) في صرامة :

— أعلم أنك سجنته في تابوت من الرصاص السميك ، ودقنته في أعماق مركبتكم ، وتصوّرت أن هذا سيعزله تمامًا ، عن أي مصدر للطاقة ، وهذا صحيح من الناحية الفيزيائية ، ولكن هناك طاقة واحدة ، لا تستطيع أية مادة في الوجود كبحها ، ومنع انطلاقها .

ومال إلى الأمام ، وهو يشير إلى رأسه ، مضيفاً :

— طاقة العقل .

أكمل (محمود) في صرامة :

— (الزوربوم) منح عقلى انطلاقة جبارة ، مكنتنى من

الاتصال بعقل (نور) ، قبل أن يخترق ذلك الحاجز ، الذى توحى صورته الهولوجرامية بامتداد الصحراء الجبلية إلى ما لا نهاية ، فى حين أنه يقود إلى أعماق مركبتكم الفضائية العملاقة ، التى تحمل على متنها عالمًا وهميًا كاملًا :

غمغم (نور) :

— لا ريب فى أنها مركبة بحجم مدينة كاملة .

نقل القائد الأعلى بصره بينهما لحظات فى عصبية ، ثم قال ، وهو يستعيد ثقته ، بعد زوال أثر المفاجأة :

— إنها كذلك .. مركبة بحجم نصف قاهرتمكم تقريبًا ، ولهذا كان علينا أن نفجّر قنبلتنا ، حتى يتسنى لها الصعود من قلب الأرض إلى الفضاء ، والجميع منشغلون بالدمار الناشئ .

قال (محمود) فى صرامة قاسية :

— الدمار هو مصيركم أنتم يا رجل .

ثم أردف فى تحد :

— هل تذكر تلك الصورة المخيفة ، التى انقل عتموها من

عقلى ، عند عودتى من نهر الزمن؟! ..!

اتسعت عيننا القائد الأعلى ، وهو يتراجع بحركة حادة ..

نعم .. إنه يذكر ذلك المشهد الرهيب ..

مشهد المركبة العملاقة ، بكل العالم الذى تحويه ، والنيران تشتعل فيها ، وهى تهوى فى قلب نجم هائل ، يفوق حجمه حجم شمسنا ألف مرة ..

صورة جعلته يصرخ مرتجفاً :

— لا .. لن يكون هذا مصير السادة .

ثم رفع يديه نحو (محمود) ، صارخاً :

— لقد نسيت أننى أفرقك قوة .

كان يتوقع أن تنطلق الطاقة من راحتيه ، لتضرب (نور) و(محمود) فى عنف ، ولكن الأوّل قال :

— معذرة أيها الوغد ، ولكن حوارنا العقلى ، (محمود) وأنا ، جعلنا نعلم الكثير عنكم .

أكمل (محمود) :

— (نور) استنتج الموقف ، قبل عبوره ذلك الحاجز ، وأخبر (أكرم) عن اتصالى العقلى به ، وعن أنه طلب منى استخدام قدراتى

العقلية ، لتحفيز المحرك الرئيسى للمركبة ، وهذا ما صنع تلك الاهتزازات ، التى عجزتم عن فهمها ، والتى أمدتني بطاقة خافية ؛ لاختراق ذلك التسابوت الرصاصى ، وعندئذ ، عدت أغوص فى نظامكم الرقمى مرة أخرى .

جاء دور (نور) ، ليقول :

— وعندئذ كشف أنك وحدك ، من دون رفاقك ، من يمتلك هذه القوة الفائقة ، والتى تزودك بها بطارية طاقة خاصة ، ترتبط بالزى الذى ترتديه .

هزّ (محمود) كتفيه ، قائلاً :

— وببساطة ، أوقفها .

اتسعت عيننا القائد الأعلى فى ارتياح ، وهو يتراجع نحو أجهزة المركبة الرئيسية ، قائلاً :

— إذن فلنتفق .. سنتعايش سلمياً ، جنباً إلى جنب ، و ...

قاطعها (نور) فى صرامة :

— ومن يأمن شركم !؟

تراجع القائد الأعلى بضع خطوات أخرى ، وهو يقول :

اتهار أرضاً على ركبتيه ، فى حين تجمّد باقى الوحوش تماماً ،
كما لو أن ما حدث قد أصابهم بصدمة رهيبة ، وتابع القائد الأعلى ،
فى انهيار تام :

— لقد قضيت على حضارتنا كلها .. قضيت على الحضارة التى
أعدتكم إلى الحياة .. والحضارة التى تضمن لك الاستمرار فيها .

ثم شمله غضب عصبى ، وهو يشير إليه ، صارخاً :

— بدون هذا الجهاز ، لن يستمر (الزوربوم) على حيويته ،
وسينهار جسديك هذا ، خلال مائة ساعة على الأكثر .

اتعقد حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يقول :

— قلت بنفسك أنكم لم تتوصّلوا إلى كل سمات (الزوربوم)
الحيوى بعد .

قال (محمود) فى توتر :

— لا بأس يا (نور) .. سيكون هذا مصيراً عادلاً .. لقد
أفنتى للتو حضارة كاملة ، وأبدت بقايا شعب بأكمله .

نهض القائد الأعلى — يقول فى اتفعال :

— بل أفنتى عالمين يا هذا .

وفجأة ، بتر عبارته ، ووثب نحو أحد أجهزة المركبة ،
وحاول دفع زراع قصيرة فى إحداها ، و ...

وتحرك (محمود) بسرعة خرافية ..

وثب وثبة هائلة ، اسقطته بين القائد الأعلى وذلك الجهاز ،
وقال فى صرامة وغضب :

— أرايت كم أنت حقير !؟

ثم هوى بقبضته على ذلك الجهاز فى قوة ، فصرخ الوحوش
العشرة فى آن واحد ..

— لا ... ليس هذا .

ولكن قبضة (محمود) سبقتهم ، وهوت على الجهاز بكل قوته ..

ودوى الانفجار ..

انفجار محدود ، كان له نوى يفوق حجمه ، ولكنه أسقط
الجميع أرضاً ، ولكن الوحوش نهضوا فى سرعة ، والقائد
الأعلى يصرخ فى انهيار ..

— لماذا !؟ .. لماذا !؟ .. الزراع لم تكن لتؤذيكم .. كانت فقط

ستفضل المركبة الإضافية ، التى تضم أجساد السادة ، حتى
تواصل رحلتها إلى الكوكب البديل بدونكم ، وعندما حطمت
الجهاز كله ، قطعت عنهم سبل الإعاشة ، ولن يستيقظوا الآن
من سباتهم الصناعى العميق أبداً .

— لقد فشلت مهمتنا ، ولم تنجح في الحفاظ على السادة ، وهذا يعني ضرورة أن نفنى أيضاً .

ثم خفض بصره إلى (نور) و (محمود) ، مضيفاً في هدوء عجيب :

— ولو أردتم نصيحتى ، فأفضل ما تفعلونه هو أن تنضموا إلى الباقين .

التصق به الكل ، وهو يقول مكملاً :

— فى العدم .

تألفت أجسادهم على نحو عجيب ، و (نور) يهتف :

— أى عدم تعنى يا رجل !؟

وثب (محمود) نحو (نور) فى هذه اللحظة ، صارخاً :

— احترس يا (نور) .

ومع صرخته ، دوى الانفجار الثانى ..

وتحطم جزء من الجدار الشفاف السميك فى عنف ، وأعقبه صوت رهيب ، وفراغ الفضاء يشفط كل ما داخل المركبة إلى الفضاء السرمدى ..

تطلع إليه (نور) و (محمود) فى توتر ، فأكمل فى شىء من التحدى والصرامة والتشفى :

— توقّف الأجهزة ، سيعنى خلل نظم التوجيه فى المركبة ، وسيضيع مسارها فى الفضاء ، وربما تحوّل المشهد ، الذى أتيت به من نهر الزمن ، إلى حقيقة مفزعة ، بعد أن صار عالمكم كله ضائعاً فى الفضاء ، مع إعاشة تكفيه لأسبوعين ، على أقصى تقدير .

قال (نور) فى توتر شديد :

— هناك حتماً سبيل لمنع هذا .

بدا القائد الأعلى هادئاً أكثر مما ينبغى ، وهو يقول ، وكأنه يُحدّث نفسه :

— كل ما يمكن أن تبلغه عقولكم ، لن يكفى لفهم لمحة واحدة من تكنولوجيايتنا ، وما تبقى لكم من وقت لن يكفى حتماً لفهم خيوطها الأولى ، فهى تسبق تكنولوجيايتكم بعدة آلاف من السنين .

قال (محمود) فى صرامة ، مشيراً إليه :

— وماذا عنكم !؟... لو فنى هذا العالم ستفنون معه .

اقترب الوحوش كلهم من القائد الأعلى ، والتفوا حوله ، وهو يبدو أكثر شروداً ، ويقول :

بمنتهى القوة ..

ومنتهى العنف ..

ومنتهى السرعة ..

مع ذلك الانفجار الثانى ، بدأ للجميع أن هناك أمر غير مألوف يحدث .. أمر جعل (نشوى) تقول :

— أحرب تنشأ ، أم قتال يدور .

هتفت (سلوى) :

— هناك خلل ما حدث .. لقد شعرت به .

هتف (رمزى) :

— وأنا أيضًا .

تلقت (أكرم) حوله فى عصبية ، وهو يقول :

— ربما كانت محاولة لإنقاذنا .

قال (هيثم) متوترًا :

— لا .. هذا أمر لا يمكن أن يحدث منطقيًا .. الحصن لا يمكن

أن يرتج على هذا النحو ، إلا بأمر جلل .

سألته (مشيرة) مرتجفة :

— مثل ماذا !؟

هز رأسه فى حيرة ، قائلاً :

— لست أدرى .

تردّت (مشيرة) لحظة ، ثم قالت فى خفوت :

— ربما حدث شيء هناك .

التفتوا إليها متسائلين ، فتابعت فى تردد أكثر ، وهى تنكمش

فى جسد (أكرم) ، محتمية به :

— فى ذلك المكان ، الذى أرسلوا إليه الذّب .

سألها (رمزى) فى قلق :

— أى مكان هذا !؟

ارتجف صوتها ، وهى تقول ، وكأنها تستعيد لحظات رهيبة :

— ذلك المكان ، الذى لا يحوى شيئًا .. الظلام الرهيب ، الذى

يثير فى نفسك ألف رعب ورعب ، بمجرد النظر إليه .

أمسك (أكرم) كتفها ، وهو يسألها فى توتر بالغ :

— أى مكان رهيب تصفين يا (مشيرة) ؟

أتاه الجواب من مدخل المكان :

— العدم .

التفت الجميع إلى مصدر القول فى لهفة ، وهتفت (سلوى) فى فرحة :

— (نور) .

اندفعت نحوه تعانقه ، فأحاطها بذراعيه ، وطبع قبلة على جبينها ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها (محمود) من خلفه ، وهو يقول فى توتر :

— إننا نواجه خطراً رهيباً .

سأله (هيثم) منفعلاً :

— أين القائد الأعلى !!

أجابته (نور) ، وهو يضم (سلوى) إليه :

— لقد فنى مع فريقه ، وعرضونا كلنا لخطر مخيف ، فى مركبتهم الفضائية هذه ، ولولا قدرات (محمود) الخارقة التى يغذيها ذلك (الزوربوم) الحيوى ، والتى مكنتنا من عبور (كوباء) فى اللحظة الأخيرة ، لقمينا معهم .

تفجّر الذهول فى قلوب ووجوه الجميع ، وارتجف صوت (نشوى) ، وهى تردّد :

— مركبة فضائية !!

أشار إليها (نور) ، قائلاً فى حزم :

— سأشرح لكم كل شىء باختصار ، فى حين يقوم (هيثم) باستدعاء جميع الموجودين فى الحصن ؛ فلا بد وأن نتعاون جميعاً ، وبأسرع وسيلة ممكنة ، فقد يمكننا بهذا إنقاذ عالمنا الوحيد المتبقى من الفناء .

اتسعت عينا (أكرم) فى ارتياح ، وهتف (هيثم) فى صوت مبحوح ، من شدة الخوف .

— ما الذى تعنيه بكل هذه الغوامض المفزعة أيتها الأسطورة .

أجابته (نور) فى صرامة :

— ستعرف كل شىء ، بعد أن يجتمع الكل يا (هيثم) .. ستعرفون جميعاً كل شىء ..

كان الأمر صدمة للجميع بالفعل ، عندما اجتمعوا فى ساحة الحصن ، وشرح لهم (نور) ذلك الموقف الرهيب ، الذى يهدم عالمهم ، ويحطم معتقداتهم كلها دفعة واحدة ، وينذرهم بأن آخر من تبقى من الجنس البشرى ، فى طريقه إلى نهاية واحدة ..
الفناء ..

— لقد كان ذلك الوغد على حق في كل ما قاله .. لا توجد أية وسيلة لتفادي هذا .. إنها النهاية أيها السادة .. نهاية هذا العالم .. ونهاية البشر .

وكانت الصدمة أكثر هولاً من أن توصف ..

ألف .. ألف .. ألف مرة ..

جمود رهيب ، ذلك الذى أصاب أفراد الفريق ، وهم يجلسون معاً ، فيما كان سابقاً حجرة القائد الأعلى ..

جمود جعلهم يحدقون جميعاً فى الفراغ ، دون أن ينطق أحدهم بحرف واحد .. إنهم لا ينتظرون نهايتهم فحسب ..

بل نهاية العالم ..

ونهاية البشرية ..

نهاية آخر فرد منها ..

ولقد كان (أكرم) أوّل من قطع ذلك الصمت الرهيب ، قائلاً :

— كنت أعلم أنه هناك نهاية حتمية لهذا التطور التكنولوجي اللعين ، ولكننى لم أتصورها قط على هذا النحو

وعندما انتهى من الشرح ، ساد المكان صمت رهيب ..
صمت ملئوه الفزع ..

والهلع ..

والمرارة ..

والياس ..

صمت دام ، حتى قطعه صوت أحد العلماء ، وهو يقول :
لهجة أقرب إلى البكاء :

— أين الدكتور (راشد)؟! لماذا اختفى عندما كنا فى أمس الحاجة لقيادته العلمية وفكره المستنير؟! .. لماذا؟! ..

برز (محمود) فى هذه اللحظة ، وجسده يتألق على نحو خافت ، وهو يقول فى جمود :

— أظننى أعلم أين هو .. وأين الباقين أيضاً .. لقد توغّلت فى النظام الرقمى الفائق لهم ، بحثاً عن أية وسيلة لتفادي نهاية العالم ، وعلمت الكثير .. الكثير جداً .

هتف به أحد العلماء فى لهفة وأمل :

— وهل عثرت على وسيلة ما ، لإفلاقنا من هذا المصير البشع ؟

صمت (محمود) لحظات ، ثم قال فى أسى :

هزّت (نشوى) رأسها فى مرارة ، قائلة :

— ولم أتصوّر أبداً أن تأتى نهاية البشرية ، على مسافة سنوات ضوئية عديدة من الأرض .

غمغم (نور) :

— البشرية لن تنتهى .. مازال ابنى وحفيدى هناك ، آمنين فى العدم ، الذى لن يتسع للجميع للأسف .

قال (رمزى) فى ألم :

— وهل تتصوّر أنهم محظوظون بوجودهم هناك؟! ... إنه مصير أبشع مما سنواجهه نحن هنا يا (نور) .

قال (نور) فى حزم :

— ولكنه يضم الأمل يا صديقى .. الأمل فى أن يكونوا يوماً السبيل الوحيد ؛ لاستمرار البشرية .

قالت (سلوى) فى جمود ، يشفّ عن صدمتها :

— وكيف سيحدث هذا دون نساء؟! .. ألا يحتاج استمرار البشرية إلى ذكر وأنتى على الأقل؟!

قال (محمود) متردداً :

— لى طاقة تكفى لإرسال أنتى إليهم ، ولديهم (س — 18) هناك ، وقد ...

قفز (نور) من مكانه ، يسأله فى لهفة :

(س — 18) هناك .

بدا الاهتمام والأمل على الجميع ، و(محمود) يجيب :

— نعم .. إنه هناك يا (نور) ، ولكنه لن يطيع سواك .

هتف به (نور) :

— أرسلنى إليهم إذن .

سأله فى توتر :

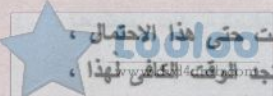
— هل ستبقى هناك يا (نور)؟!

أجابه فى انفعال :

— بل سأمر (س — 18) بالعودة إلى طاقته ، ومحاولة استخدام قوته وقدراته اللامحدودة ، فى اتقاننا من هذا الموقف .

قال (محمود) فى يأس :

— مستحيل يا (نور)!! لقد درست حتى هذا الاحتمال ، ووجدت أن قدرات (س — 18) لن تجد الوقت الكافى لهذا ،



— لا يوجد أمل إذن .

شدّ (محمود) قامته ، وهو يقول :

— بل ما زال هناك أمل وحيد ، بعد رحمة الله (عزّ وجلّ) .

سأله (رمزي) في لهفة :

— وما هو ؟!

بدا متوترًا بعض الشيء ، وهو يقول :

— طاقة (الزوربوم) الحيوى .. طاقتى .

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يقول (نور) فى صرامة :

— لا .. لن أسمح بأن تضحي بنفسك من أجلنا مرتين* .

ابتسم (محمود) فى مرارة ، مغمغمًا :

— نفسى؟! لو أنها نفسى حقًا ، لما تردّدت فى التضحية بها

من أجلكم الف مرة يا (نور) ، ولكنه مجرد تواجد وهمى ،

ومشاعر بشرية ستنتهار حتمًا ، كما سمعت ذلك الوغد يقول ،

قبل مصرعه .. ومن المؤسف أنه كان محقًا فى هذا ، ثم إن الفناء

ينتظر البشرية كلها ، أو ما تبقى منها ، فأى شرف اكتسبه ، من

أن يكون آخر ما فعله ، هو محاولة إنقاذها .

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) ... المغامرة رقم (100) www.dvd4u.com

فعدما انفجر هولاء الوحوش ، ونسفوا جزءًا من جدار المركبة ،

حدث خلل رهيب فى التوازن داخلها ، ونحن نفقد الأكسجين

بسرعة خرافية الآن ، ولن تمضى ساعات ست ، حتى نختنق

جميعًا من نقص الأكسجين ، ونقضى نحننا فى غضون دقائق .

قالت (سلوى) فى فزع :

— يمكنه إصلاح ذلك الجزء من الجدار على الأقل .

مط شفتيه ، قائلاً :

— سيمنحنا هذا يوماً إضافياً على الأكثر .

عاد وجوم ترقّب الفناء يسيطر على الجميع ، قبل أن يزدرد

(نور) لعبابه فى صعوبة ، قائلاً :

— فليكن .. لن نموت دون حتى أن نحاول .

وواجه (محمود) ، قائلاً فى حزم شديد :

— أرسلنى إليهم .

صمت (محمود) لحظات ، ثم قال :

— سيحتاج هذا إلى طاقة هائلة يا (نور) ، لم تعد متوافرة ،

بعد تدمير بطارية الطاقة فى المركبة .

غمغم (أكرم) فى مرارة ، وهو يضمّ (مشيرة) إليه فى قوة :

— عد إلينا .

رَبَّتْ عليها في حنان ، ومسح دموعه انمالت على وجنتها ،
وطبع قبلة على جبينها ، ومنحها ابتسامة هادئة ، ثم انصرف
مع (محمود) ..

كان عليه أن يبذل كل ما تبقى من جهد ، فيما تبقى له من
عمر ، من أجل الأمل ..

الأمل الأخير ..

للبشرية ..

ران عليهم جميعاً صمت مهيب ، قبل أن يسأله (نور) في
صوت مبجوح ، حاول أن يكتم به تأثره :

— هل تعلم كيف نصل إليهم !!؟

أجابه (محمود) :

— بالتأكيد .

تخلّى (أكرم) عن (مشيرة) في هذه اللحظة ، واندفع خلف
(محمود) ، هاتفاً :

— انتظر .

التفت إليه (محمود) ، فمد يده بصافحه في قوة ، قائلاً :

— من المؤسف جداً أن يفقد المرء صديقين بطلين في يوم
واحد ، ولكنني أردت أن أخبرك أنه من دواعي فخري ، في هذه
اللحظات الأخيرة ، أنني تشرفت بالعمل معك .

صافحه (محمود) في تأثر ، قائلاً في خفوت :

— وأنا أيضاً يا (أكرم) .. صدقتي .. وأنا أيضاً .

تصافحوا جميعاً في صمت ، فيما عدا ما قالته (سلوى) ،
بين ذراعي (نور) :

قال الدكتور (راشد) :

— لو أرسل القائد (نور) إلى هنا ، لكانت أكبر حماقة ارتكبتها في حياته .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى دوت فرقة عجيبة وسط الفراغ ، فهبَّ الذب من مكانه المقترض ، وهتف :

— رياه !! هل ..

قبل أن يتم هتافه ، ظهر (نور) و(محمود) فجأة وسط العدم ..

(نور) ارتطم بالذب ، و(محمود) سبح في استرخاء عجيب ، وأطرافه كلها مرتخية على نحو عجيب ..

وهتف الجميع في آن واحد :

— مستحيل !

كان (نور) يتمنى الاندفاع نحوهم ، بكل ما في كيانه من لهفة وعاطفة ، إلا أنه اندفع نحو (محمود) ، وهو يهتف :

— رياه !! هل ..

لم يكن هناك من داع ليكمل عبارته ، فقد كانت كل لحظة في كيان (محمود) توحى بأنه قد فقد كل علامات الحياة والطاقة ..

14 - نهاية العالم ..

« ليس هناك أدنى أمل .. » ..

قالها (طارق) في مرارة ، وهو يسبح مع الباقيين وسط العدم ، قبل أن يستطرد :

— (س - 18) لا يستجيب إلا لصوت جرى بالفعل .

هزَّ الدكتور (راشد) رأسه ، وقال في يأس :

— صدقوني .. لقد قضى لنا أن نبقي هنا إلى الأبد .. وأنا أعنى الأبد حرفياً ، وليس مجازياً .

قال (محمود) الصغير في توتر :

— ترى هل يبحثون عنا في الخارج !!؟

هزَّ الدكتور (راشد) رأسه مرة أخرى ، وقال بنفس اليأس :

— إنه ليدهشنى أن ذلك القائد لم يرسلهم إلى هنا .

قال (طارق) الصغير :

— لو أرسل أبى إلى هنا ، لوجدنا الحل للخلاص .

وفي حزن مرير ، ربّت عليه ، (نور) ، مغمغماً :

— وداعاً يا صديق العمر .. وداعاً .

التف ابنه وحفيده و الدكتور (راشد) والدّب حوله ، يراقبون معه
جسد (محمود) ، الذي تألّق في خفوت ، وراح يتلاشى تدريجياً ،
وهمس الدّب في خفوت :

— ماذا أصابه أيها الأسطورة !؟

أجابه (نور) في خشوع :

— دفع حياته ، من أجل ما يؤمن به .

انتقل خشوعه هذا إلى الجميع ، فلاذوا بالصمت التام ، حتى
تلاشى الجسد الزوربومي تماماً ، ثم همس (طارق) الصغير :

— هل فعلها معك ذلك القائد الأعلى الزائف يا أبى !؟

التفت إليهم (نور) ، قائلاً :

— بل جنت بآرادتى ؛ في محاولة أخيرة لإنقاذ ما تبقى من

البشرية .

اتسعت عينا الدكتور (راشد) ، وهو يقول :

— البشرية !؟ .. ماذا تعنى يا سيّد (نور) !؟

وكما حدث للجميع ، أصابهم شرح الحقيقة المفزعة بصدمة قاسية ،
أفقدتهم النطق طويلاً ، قبل أن يغمغم الدّب ، في ذهول بأس :

— إنن فكل ما عشناه كان مجرد وهم .. وهم صنعوه ، وغرسوه
في عقولنا ، وأفسدوا به حياتنا لسنوات طوال .

تمتم (محمود) الصغير :

— لهذا لم نكن نذكر تفاصيل الكارثة .

وقال (طارق) الصغير :

— ولهذا لم يحاول الحصن أبداً تصفية المقاومة .

وهنف الدكتور (راشد) في مقت :

— يا لى من غيبى !.. يا لنا جميعاً من أغبياء حمقى .. كانت
كل الدلالات تشير إلى حدوث أمور غامضة ، ولكننا لم نحاول
التصدى أو المقاومة .

تمتم الدّب :

— نحن قاومنا .

أجابه (طارق) في حنق :

— كقطع شطرنج ، يحركها هو ،

ران عليهم الصمت لحظات أخرى ، قيل أن يسأل الدُّب في قلق :

– وهل أتيت لتخرجنا من هنا أيها الأسطورة !؟

اندفع الدكتور (راشد) يهتف في ذعر :

– لا .. لا أريد الخروج إلى عالم ، في طريقه إلى الفناء ..

بقاؤنا هنا هو أملنا الوحيد في النجاة .

هتف (طارق) مستنكراً :

– أي قول هذا يا رجل !؟

واجهه (نور) ، قائلاً في حزم :

– ما يقوله الدكتور (راشد) هو الحقيقة (طارق) ..

وجودكم هنا هو أمل البشرية في الاستمرار .

قال (محمود) الصغير :

– ولكن البقاء هنا هو عذاب ما بعده عذاب يا جدى ..

سنبقى أبد الدهر ، وسط عدم لا يمضى فيه الزمن أبداً .

قال (طارق) الصغير في تردُّد :

– ربما كان هناك حل آخر .. ربما يستطيع (س – 18)

إنقاذنا .. مرة بذلك يا أبى ، وسيفعل بإذن الله .

التمعت عينا الدكتور (راشد) ، وهو يهتف :

– نعم .. ربما يستطيع (س – 18) إنقاذنا ، ولكن ليس

بأية طريقة تفكرون بها .. هناك وسيلة وحيدة ، تحدث عنها

القائد الأعلى .

قال (نور) في حزم :

– نفس الوسيلة التي أتيت لأستعين به من أجلها .

سأله (طارق) في توتر :

– أية وسيلة يا جدى !!

أجاب به بكل حزم الدنيا :

– الزمن .

« ماذا تعنى بهذا يا (نور) !؟ .. »

ألقت (سلوى) سؤالها على (نور) ، بعد أن أعاده

(س – 18) وحده من العدم ، ووقف ثابتاً جامداً ، فى انتظار

أوامر أخرى ، فأجابها (نور) ، وهو يدير عينيه فى وجوه

الجميع ، موجِّاً حديثه إليهم :

– (س – 18) قادر على القيام برحلة واحدة ، مع شخص

واحد ، عبر الزمان والمكان .. رحلة تستهلك كل طاقته ، حتى آخر قطرة منها ، ولكن تلك الرحلة ستكون آخر أمل لنجاة البشرية من الفناء .

سأله (أكرم) فى حيرة :

— كيف هذا ؟!

أجابته (نور) فى انفعال :

— سيعود (س — 18) بواحد منا ، إلى أرضنا التى نعرفها ، ولأنه من المستحيل أن تتواجد المادة مرتين فى زمن واحد ، فالشخص الذى سيذهب ، سيمتزج بكيانه مع الكيان الموجود ، فى الزمن الذى سيصل إليه ، ولكنه سيحتفظ بذاكرة هذا الزمن ، مما سيجعله قادراً على تحذير العالم ، وفعل كل ما يلزم ، لمنع حدوث تلك الكارثة ، التى أفنت الحياة على الأرض ، وقادتنا إلى ما نحن فيه الآن .

سألته (مشيرة) :

— وهل سيعنى هذا أن كل ما ترتب على الكارثة لن يحدث ، وأنا لن نأتى إلى الفضاء ، على متن هذه المركبة العملاقة ، التى تقودنا إلى الفناء .

تعمم :

— أتعثم هذا .

ثم عاد يدير عينيه فى وجوههم ، مستطرداً :

— والآن ، من سيقع عليه الاختيار ، ليكون أمل الأرض والبشرية الأخير ؟!

أجاب (أكرم) فى سرعة :

— أنت يا (نور) .

ثم ضم (مشيرة) إليه فى حب ، وهو يضيف فى حزم :

— فمهما كان ما سيحدث ، لن أتخلى عن حب حياتى ، فى اللحظات الأخيرة .

التصقت به (مشيرة) فى حب ، وقالت :

— كانت لدى فرصة للعودة إلى الشباب .

قبلها فى حب ، قائلاً :

— أنت أجمل شابة عرفتها فى حياتى .

قال (نور) فى حزم :

— الأمر يحتاج إلى خبير علمى .

ضمته (سلوى) ، قائلة :

— لن أرحل دونك .

صمت لحظة ، ثم قال في مرارة :

— سنذهب (نشوى) .

لم تنطق (نشوى) بحرف واحد ، وكأنها كانت تنتظر هذا وتتوقَّعه ، ولكن (رمزي) هتف معترضًا :

— ولماذا (نشوى) !!؟

كانت (نشوى) هي من أجابته ، قائلة في حزم :

— لأنه من واجب كل أم ، أن تبذل المستحيل ، من أجل أبنائها ، ولو أن هذا نجاح ، أكون قد فعلت كل ما أمكنني من أجلهما ..

هتف :

— وماذا لو لم تنجح !!؟

أجابت في سرعة وحزم :

— سيكفيني شرف المحاولة .

وحاولت أن تبتسم ، وهي تضيف :

— ولن يصنع هذا فارقًا ، فكلنا سنفنى في كل الأحوال .

عبارتها جعلتهم يصمتون جميعًا ، قبل أن يلتفت (رمزي) إلى (نور) ، ويقول مقاومًا دموعه :

— لقد انقذت ابنك وحفيدك ، وتحاول الآن إنقاذ ابنتك أيضًا .

أجابه (نور) في صلابة ، لم تنجح في إخفاء حقيقة مشاعره :

— إنني أحاول إنقاذ البشرية يا صديقي .

لم تمض لحظات على قوله هذا ، حتى وقف (نور) أمام (س - 18) ، وشرح له المطلوب منه في حزم ، ثم أزدرد لعابه في صعوبة ، وقال بصوت أجش ، من فرط الانفعال :

— (س - 18) .. انطلق في مهمتك .

أجابه (س - 18) بتلك العبارة الوحيدة المسجلة في برنامجه ، بكل لغات الدنيا :

— (س - 18) في خدمتك يا سيدي .

ثم أحاط (نشوى) بذراعيه ، وراح جسده يتألق على نحو عجيب ، ويزداد تألقه في سرعة ، حتى أغشى أبصارهم جميعًا ..

وبعدها دوت فرقة ..

فرقة مكتومة ، تلاشى بعدها تألقه تمامًا ، وفتح الجميع

عيونهم ، لتطلق (سلوى) شهقة لوعة قوية ، ويضمها (نور) إليه فى حنان ، وكأنما يحاول حمايتها من مشاعرها ..

لقد اختلفى (س - 18) مع (نشوى) ، وتركنا خلفهما سؤالاً واحداً كبيراً ..

هل ستنجح خطة (نور) لإفقاد البشرية ؟!

هل ..

« (نشوى) .. استيقظى يا بنيتى .. »

انتفض جسد (نشوى) ، عندما لمستها تلك الأصابع ، على الرغم من دفنها ، وفتحت عينيها عن اتساعهما ، تحقّق فى وجه الدكتور (حجازى) ، الذى ابتسم فى حنان ، قائلاً :

— هل أفزعك ؟!

اعتدلت على ذلك الفراش الوثير ، وتلفتت حولها فى دهشة ، تتأمل حجرة العيادة ، التى ترقد داخلها ، وهى تقول فى انفعال :

— أين أنا ؟!

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يجذب مقعداً ، ويجلس إلى جوارها ، قائلاً :

— فى عيادة مبنى المخبرات العلمية .. ألم تلت هنا من قبل قط ؟!

لم تدر لماذا تشعر بالحيرة لتواجدها هنا !! ..

ولا لماذا تشعر وكأنه عليها القيام بعمل ما ؟! ..

هناك جزء ما من عقلها ، مشوّش للغاية ..

جزء حائر ..

مرتبك ..

مظلم ..

جزء جعلها تسأله فى حذر ، لم يكن له منطقياً ما يبهره :

— ماذا حدث لى ؟!

أجابها فى هدوء وحنان :

— غيبوبة مفاجئة .. وصفوا أنك انتفضت فجأة ، كما لو أن ساعة خفية قد أصابك ، ثم سقطت أرضاً ، وأنت تهزين بكلمات غير مفهومة .

سألته فى قلق :

— كلمات مثل ماذا ؟!

Looloo

www.dvd4arab.com

هزُّ كَتْفِيهِ ، مَجِيْبًا :

— كلمات عن المستقبل ، وإنقاذ العالم ، والفضاء .. وحتى أعماق الأرض ، والمدهش أنهم وجدوا (س - 18) فى حجرتك ، ولكنه جامد تمامًا ، كتمثال من الصلب .

وعاد يبتسم ، قائلاً :

— من الواضح أنك ترهقين نفسك كثيرًا فى العمل .

اتسعت عيناها ، وهى تحدق فى نجواء ..

المستقبل .. إنقاذ العالم .. الفضاء .. أعماق الأرض .. كلمات تبدو غير مترابطة ، ولكن شيئًا ما فى أعماقها ، يوحى إليها بأنه هناك رابط منطقى ، يربط كل هذا ..

شئء يصارع ، للصعود إلى عقلها الواعى ..

شئء هام للغاية ، ولكنه يختفى هناك ، فى ركن مظلم من عقلها ..

« لقد أوصيت باختبار حمل ... »

قالها الدكتور (حجازى) فى حنان ، فحدقت فيه مرة أخرى ،

متسائلة :

— هل تعتقد أننى ...

قبل أن تتم سؤالها ، اندفع (نور) و (سلوى) إلى العيادة ، والأوّل يهتف فى جزع :

— (نشوى) ماذا أصابك يا ابنتى !؟

واحتضنتها (سلوى) فى قوة ، هاتفة :

— رياه ..! لقد هرعت إلى هنا ، فور أن أخبرونى بما أصابك .

وبمنتهى الحيرة ، حدقت فيهما (نشوى) ..

أمها وأبوها ... هناك شئء ما ، يربطهما بكل ما سبق ..

يربطهما بالمستقبل ، والفضاء ، وأعماق الأرض ، وإنقاذ العالم ..

ولكن ما هذا !؟ ..!

لماذا لا تذكر ذلك الشئء !؟

لماذا لا يصعد إلى سطح ذاكرتها ..

سمعت (نور) يسأل الدكتور (حجازى) ، فى قلق واهتمام :

— هل تعاني من شئء ما !؟

ابتسم الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

— شئء جيد .

واتسعت عينا (نشوى) مع العبارة ..

الزمان والمكان ...

هذا هو كل ما يدور في عقلها ..

الزمان والمكان ..

تراصت مشاهد سريعة خاطفة في ذهنها ، ضاعفت من

حيرتها وتوترها كثيراً ..

مشاهد لعالم عجيب ..

ووحوش آلية ..

(محمود) بقدرات هائلة ..

وقتال وسط أطلال ..

و ...

« ماذا بك؟! »

انتزعتها (سلوى) من أفكارها بالسؤال ، الذي ألقته في توتر

قلقى ، قبل أن تضيق :

— لقد شحبت وجهك بشدة .

التفتت إليه (سلوى) ، تسأله في دهشة :

— شيء جيد ، يصنع بها هذا؟!!

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

— لقد طلبت بعض الفحوص المؤكدة .

اندفع (رمزى) و(أكرم) و(مشيرة) إلى الحجرة ، في

اللحظة نفسها ، وهتف الأول :

— (نشوى) .. ماذا أصابك يا حبيبتي؟!!

وأضافت (مشيرة) في قلق :

— لقد أفرغتنا .

ولسبب ما شعرت (نشوى) بالدهشة ، من جمال وشباب

ونضارة وجه (مشيرة) ، وحنقت فيها في حيرة ، وهي تنغمم :

— (مشيرة) .. أنت جميلة جداً .

ضحك (أكرم) وهو يحتضن (مشيرة) ، قائلاً :

— إنها دوماً كذلك .

تملصت منه (مشيرة) في ضيق ، وهي تقول في عصبية :

— ليس في كل زمان ومكان يا (أكرم) .

اعتدلت (نشوى) ، وهزّت رأسها وكأنها تنفض عنه تلك المشاهد غير المترابطة ، وقالت :
— أنا بخير .

نطقها في شحوب ، ولكنها نهضت بعدها من فراشها ، مستطردة في حزم :

— أنا مستعدة للعودة إلى العمل فوراً .

التفت (نور) إلى الدكتور (حجازي) ، يسأله :

— هل يمكنها هذا ؟!

مطّ الدكتور (حجازي) شفّته ، وقال :

— هذا يتوقّف على نوع العمل .

قالت هي في حزم :

— أنا مستعدة لأي عمل .

تردّد (نور) لحظة ، قبل أن يقول :

— الواقع أنه لدينا مهمة جديدة ، ولكن لو أنك ...

قاطعته في توتر :

— أنا مستعدة يا أبي .

بدا عليه مزيد من التردّد ، وسألته (سلوى) في اهتمام :

— أية مهمة تلك يا (نور) ؟!

أجابها في اقتضاب :

— بعثة جيولوجية ، اختفت دون أن تترك خلفها أي أثر ، والقائد الأعلى يريدنا أن نجد تفسيراً لهذا .

سرى التوتر في كيانها بشدة مع حديثه ..

بعثة جيولوجية ..

كهف جاف ..

زئبق جاف ..

كلها أمور أضيفت لما سبق في ذهنها ، وبدا وكأنها كلها تصنع منظومة واحدة ..

منظومة تختفي هناك ، في جزء مظلم ، من أعماق أعماق عقلها ، ويبدو أنها تقاوم للصعود إلى السطح ..

حاولت أن تنقض تلك المشاعر المتوترة عن عقلها ، و(أكرم) يقول ضاحكاً :

— يبدو أنها ستكون مهمة تقليدية جديدة ..

غمغت (مشيرة) فى حدة :

— كل كارثة تخوضونها ، يطلق عليها (مهمة تقليدية جديدة) .

ابتسم ، قائلاً :

— أليست كلها كذلك .

سرت ارتجافة باردة فى جسد (نشوى) مع عبارته ، وصرخ ذلك الشيء الكامن فى أعماقها بأنها لن تكون أبداً مهمة تقليدية ..
أبداً ..

وفى استسلام عجيب ، ودّعت الدكتور (حجازى) بابتسامته الحانية ، وخرجت مع أفراد فريقها ، وكياتها كله يحاول استخراج ما يشتعل فى عقلها ..
ولكن هل ستنجح فى هذا؟! ..

هل سيمسّيقظ عقلها ، من صدمة رحلته عبر الزمن ، واندماجه بكياتها الآخر ، ويستعيد كل نكريته ، قبل أن يكرّر الزمن نفسه؟!
هل سيمكنها حقاً أن تؤدى الدور ، الذى عبرت من أجله حاجز الزمن؟! ..

وهل ستفعل هذا ، قبل أن تخطو الأرض ، وتخطو البشرية خطواتها الأخيرة؟! ..

أم أن النهاية ستسبق كل شيء ، وتنتصر على الزمان والمكان؟! ..

نهاية البشرية ..

ونهاية العالم .

ملف المستقبل

سرى جداً !!

لعنة الدم	107
مسيبة القضاء	108
الدوام	109
الضوء السواد	110
كوكب الطفلة	111
بمعة الموت	112
حرب الفروست	113
الربيع	114
العنق الحارقي	115
العاصفة النوية	116
قارس الزمن	117
الف عصر	118
زمن الدم	119
الفرس القلبي	120
للهول	121
الظلال الرهيبة	122
ملاحة الظل	123
الفضة	124
كرة النار	125
تهيب الربيع	126
طريق النجوم	127
الزمن الآخر	128
وراء العقل	129
الضوء	130
العاصفة	131
الرمال العبية	132
نقطة التماس	133
سادة الكون	134
خودو	135
الأحراق الفسوفرية	136
الشر	137
الآسمان	138
حرب الأشباح	139
فراصنة الزمن	140
التماثيل	141
تهباب	142
بلا جسدا	143
العقل	144
الضمم الرهيب	145
البهجة الخائفة	146
المشوة الكبرى	147
عودة الشر	148
أ	149
آخر المعالفة	150
بلا وعى	151
الفروس	152
المفطودون	153
الزئبق الجبال	154
الكيف	155
عالم جديد	156
مخاللات الخبيث	157
جوهرة الذهب	158
جوان المستقبل	159
زهيدة العالم	160

صدر من هذه السلسلة

عبر المسور ج. 1	54
أسرى الزمن ج. 2	55
شيطان الأجيال ج. 3	56
منطقة الضياع	57
معركة الكواكب ج. 1	58
جسيم ارشوان ج. 2	59
أرض المعالفة	60
الكبوس	61
سادة الأصماق ج. 1	62
لتصيط للتلطب ج. 2	63
السيف الباورى ج. 1	64
أوروب الموت ج. 2	65
الشمس الزرقاء	66
شيطان الضياء	67
عقول الشر	68
العالم الآخر	69
الستار الأسود	70
أمر الظلام	71
ابن الشيطان ج. 1	72
ميموت الجسيم ج. 2	73
الصراع الجهنمي ج. 3	74
الجولة الأخيرة ج. 4	75
الاحتلال ج. 1	76
المظلمة ج. 2	77
الصراع ج. 3	78
التحصي ج. 4	79
التحصن ج. 5	80
رمز القوة	81
حصن الشراير	82
أرض الميم	83
كنز الضياء	84
الأمل الفروزي	85
إمبراطور	86
نصف آل	87
التفتيش الحس	88
الركان	89
رعب في الأصماق	90
ضد الزمن	91
الرحلة الرهيبة	92
نقطة السفر	93
الساحر	94
القوة السوداء	95
بذور الشر	96
تهيب الكواكب	97
ثوران الكون	98
الانتحار	99
الزمن - صفر	100
العرياء	101
النوم الرهيب	102
الأرض المملوذة	103
أتهاب ومثاقب	104
وجوده من تلج	105
بلا لثر	106

لعنة الموت	1
اختفاء صاروخ	2
معينة الأصماق	3
غزاة الضياء	4
الفتيلة الفاصفة	5
زئبق من المستقبل	6
جنون مظلمة	7
الارتجاج القتل	8
صراع العواس	9
الفرس للهول	10
منطقة الربيع	11
طريق الأشباح	12
الزمن المظلم	13
نداء النجوم	14
مثلث الفوضى	15
الوهاب الجهنمي	16
نهب ظلود	17
مخاللات الفرع	18
ميون هلاك	19
العقول المعنفة	20
لتهباب الخبيث	21
لهبة الربيع	22
صدمات السرعة	23
الضوء الأسود	24
سحوة الشر	25
لعنة الضياء	26
الطمع الزجاجي	27
التهمر الخبيث	28
الإفراج الفارسي	29
النار الباردة	30
رذنين الصمت	31
الطلق الأخضر	32
حارس الأرواح	33
وحش لتصيط	34
مراة الفد	35
لنوت الزرق ج. 1	36
السماء الخائفة ج. 2	37
من وراء النجوم ج. 3	38
التلوج الساحقة	39
علامات العوف	40
مملكة النار	41
الأرض الكلية	42
تلب في ناروب	43
الغارفون	44
الصباب الأحمر	45
الكوكب المظنون	46
المخاللات الأخر	47
سجن القمر	48
غزو الأرض	49
الأسطورة	50
العاصفة الثلاثة ج. 1	51
العنق الخبيث ج. 2	52
أعطار الموت	53

رقم الإيداع: ٧٧٨١ - ٧٧٨٢ - ٧٧٨٣ - ٧٧٨٤ - ٧٧٨٥



Logo with the word "Loo" in a stylized font, followed by "www.livestore.com" and "www.livestore.com" below it.



و. نبيل فاروق

ملف المستقبل مسئلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

160

التمن في مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
في سائر الدول العربية والعالم



نهاية العالم !

- تواصل الصراع فى المستقبل ، بين (نور) وفريقه ، وذلك السر الغامض ، الذى يختفى خلفه القائد الأعلى ..
- فرار الفريق من الحصن ، نقل الصراع الى قلب الأطلال ، ويحثهم عن ذلك العاجز المحيط بها ، قفز بالصراع الى مستويات جديدة ..
- وعلى كل الجبهات اشتعلت حرب الغد ، وسط أطلال الماضى ، لمحاولة إطفاء نيران المستقبل ، والسيطرة على عالم جديد ..
- ومع المفاجأة المذهلة فى النهاية ، خاض الفريق أصعب وأعقد وأعجب وأشرس معاركه ، قبل (نهاية العالم) ..
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقا تل مع (نور) وفريقه معركتهم الأخيرة .. من أجل التاريخ .. تاريخ المستقبل .



المؤسسة
العربية الحديثة

للتدوير والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية